العَيْنُ وَالأَثَرُ

فِي

عَقَائِدِ أَهْلِ الأَثَرِ

تَأْلِيفُ

عَبْدِ البَاقِي بنِ عَبْد البَاقِي بنِ عَبْدِ القَادِرِ البَعْلِيّ

الدِّمَشْقِيّ الحَنْبَلِيّ

١٠٠٥هـ-١٠٧١هـ

وَيَلِيهِ مُخْتَصَرُهُ

إِنْسَانُ العَيْنِ وَجَلَاءُ الغَيْنِ

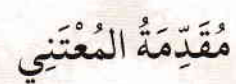
لِلْمُؤَلِفِ

اعتنى بها

مبارك بن راشد الحثلان



بيروت - لبنان



مُقَدِّمَةُ المُعْتَنِي

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ عَلَينَا بنِعَمٍ يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِهَا اللِّسَان، وَتَفَضَّلْتَ عَلَينَا بِمِنَنٍ لَا يَحْصُرَهَا بَنَانٌ وَلَا بَيَان، فَأَنْتَ جَلَّ فِي عُلَاكَ مُكَوِّنُ الأَكْوَان، لَا تَتَقَيَّدُ سُبْحَانَكَ بِالزَّمَان، وَلَا يَحْصُرُكَ وَلَا يَحْوِيكَ مَكَان، سُبْحَانَكَ أَنْتَ الفَرْدُ الوَاحِد، المُتَقَدِّسُ عَن الشَرِيكِ وَالوَلَدِ وَالوَالِدِ، وَنُصَلِّي عَلَى نَبِيكَ الأَمِينِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لِذَلِكَ النُّورِ المُبِينِ.

وَبَعْدُ:

فَإِنَّ التَّمَسكَ بِالعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ سَبيلُ نجاةِ العَبدِ فِي دُنْياهُ وَآخِرَتِهِ؛ فَبِهَا تَحقِيقُ التَّوحِيدِ، ومُجَانَبَةُ طَرِيقِ أَهْلِ الشَّركِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّنْدِيدِ، وَإِنَّ مِنْ أَجَلِّ مَا كَتَبَهُ أَسْلَافُنَا رضي الله عنهم العَقِيدةُ الَّتِي خَطَّتْهَا يَرَاعُ الشَيخِ عَبدِ البَاقِي بن عَبدِ البَاقِي الدِّمَشْقِي رَوَّحَ اللهُ رَوحَهُ، وَنَوَّرَ ضَرِيْحَهُ، شَيْخُ الحَنَابِلَةِ فِي زَمَانِهِ، الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيهِ الرِّئَاسَةُ بينَ أَقْرَانِهِ، جَمَعَ مِنْ رَوْضِهَا اليَانِعِ كِتَابًا وَسَطًا مِنْ عَقَائِدِ الحَنَابِلَةِ عَلَى وَجْهِ الإِيْجَازِ مَعَ عَدَمِ الإِخْلَالِ بِالمَطْلُوبِ، دَلَّ عَلَى طُولِ بَاعِهِ وَسَعَةِ اطِّلَاعِهِ سَمَّاهُ: «العَيْن وَالأَثَر فِي عَقَائِدِ أَهْلِ الأَثَرِ» لَكِنَّ كِتَابَهُ لَمْ يَنَلَ حَظَّهُ مِن التَّحْقِيقِ وَالتَّدْقِيقِ فَخَرَجَ مُشَوَّهًا انْشَغَلَ مَنْ أَخْرَجَهُ بِتَتَبُّعِ المُؤَلِّفِ وَالاسْتِدْرَاكِ عَلَيهِ فَشُغِلَ عَن العِنَايَةِ بِنَصِّ الكِتَابِ فَأَفْسَدَهُ وَشَوَّهَهُ بِتَعْلِيقَاتِهِ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ الكِتَابَ لَمْ يَنَلْ حَظَّهُ مِن التَّحْقِيقِ اسْتَعَنْتُ بِاللهِ عَلَى العِنَايَةِ

بِـهِ وَإِخْرَاجِـهِ بِصُـورَةٍ مَرْضِيَّةٍ، ثُمَّ يَسَّـرَ اللهُ الوقُوفَ عَلَى مُخْتَصَرِهِ المُسَـمَّى: «إِنْسَـانَ العَيْـنِ وَجَـلَاءَ الغَيْـنِ»[١] عِنْـدَ البَحْـثِ عَنْ نُسَـخِهِ الخَطِّيَّـةِ فَرَأَيْـتُ أَنَّ مِن المُنَاسِـبِ إِخْرَاجَهُمَـا مَعًا إِتْمَامًا لِلْفَائِدَةِ وَأَسْـأَلُ اللهَ أَنْ يُلْهِمَنِي الرُّشْـدَ وَالصَّـوَابَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْـدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيـنَ.



(١) إنسـانُ العيـن: المثـال الذي في السـواد، والذي تسـميه العامة: البؤبـؤ، «الزاهر فـي معاني كلمات النـاس» للأنبـاري ٢/ ٧٢. مؤسسـة الرسـالة، والغيـن: لغةٌ فـي الغيـم «المصباح المنيـر» للفيومي ٢/ ٤٦٠. المكتبـة العلمية.



التَّعْرِيفُ بِالمُؤَلِّفِ(١)

هو: العلامة المسند المحدث عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي البعلي المولد الأزهري الطلب، الدمشقي المنشأ والوفاة، مفتي السادة الحنابلة بدمشق، ولد ببعلبك سنة ١٠٠٥هـ ونشأ بها، وحفظ القرآن على والده، ثم ارتحل إلى دمشق فأخذ على علمائها كالشيخ أحمد المُفلِحِي الحنبلي، والشيخ محمود بن عبد الحميد حفيد الشيخ موسى الحجاوي صاحب: «الإقناع»، والشيخ محمد الميداني الشافعي، ثم رحل إلى مصر سنة ١٠٢٩هـ، وأخذ القراءاتِ على مُقْرِئ مصر وقتَها الشيخِ عبدالرحمن بن شحاذة اليمني الشافعي، وأجازه، والحديثَ عن إبراهيم اللَّقَاني، وأبي العباس المُقرِيء، والفرائضَ عن الشيخ محمد الشُّمُوسي، والعروضَ عن الشيخ محمد الحموي، والمنطقَ والعربيةَ عن الشيخ محمد البابِلي، وقرأ المذهب الحنبليَّ على عدد من كبار العلماء منهم: الشيخ عبد الرحمن البهوتي، والشيخ مرعي الكرمي، والشيخ منصور البهوتي، والشيخ عبد القادر الدنوشري، والشيخ يوسف الفُتُوحي، وحضر في باقي العلوم على كثير من مشايخ الجامع الأزهر، ثم رجع إلى دمشق وأقام بها، وقرأ على العلامة عمر القارئ في

(١) انظر ترجمته في: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمُحبي ٢/ ٢٨٣. المطبعة الوهبية ١٢٨٤هـ، «فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر» للحموي ٤/ ٤٨٢. دار النوادر، «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» لابن حميد ٢/ ٤٣٩. مؤسسة الرسالة، «النعت الأكمل»: (٢٢٣). دار الفكر، «مختصر طبقات الحنابلة» للشطي (١٠٩). مطبعة الترقي بدمشق ١٣٣٩هـ.

النحو، والمعاني والبيان، والأصول، وحجَّ سنة ١٠٣٦هـ، وأجازه علماء مكة كالشيخ محمد بن علان الصديقي، والشيخ عبد الرحمن المَرشدي مفتي مكة، ومن علماء المدينة المنورة الشيخ عبد الرحمن الخيارِي وغيره، وتصدَّر للإقراء بالجامع الأموي سنة ١٠٤١هـ بكرة النهار وبين العشائين، فقرأ «الجامع الصغير» في الحديث مرتين، و«تفسير الجلالين» مرتين، وقرأ «البخاري» بتمامه، و«صحيح مسلم»، و«الشفاء» للقاضي عياض، و«المواهب اللدنية» للقسطلاني، و«الترغيب والترهيب» للمنذري، و«التذكرة» للقرطبي، و«شرح البردة»، و«القصيدة المنفرجة»، و«الشمائل المحمدية» للترمذي، و«إحياء علوم الدين» للغزالي جميع ذلك بطرفيه.

ولازم ذلك ملازمة كلية بمحراب الحنابلة أولًا، ثم بمحراب الشافعية، ولم ينفصل عن ذلك شتاء وصيفًا ولا ليلة عيد، حتى ليلة وفاة زوجته، حتى ليلة عرس ولديه، حضر تلك الليلة، ولم ينقطع عن الدرس، وكان فيه نفع عظيم، وأخذ عنه خلق كثير، ودرَّسَ بالمدرسة العادلية الصغرى، وصار خطيبًا بجامع منجك.

قال كمال الدين محمد بن محمد الغزي الشافعي في ترجمته له مُبينًا فضله: «شيخ الإسلام، أوحد العلماء الأعلام، بقية السلف، عمدة الخلف، العلامة المحدث الفقيه المُقرِئ صاحب الفنون، وغيث الإفادة الهتون، المُبرَّز في جميع العلوم، الذي به في أراضي الفضائل كما يُهتدى بالنجوم، جامع أشتات الكمالات، وراقي من المجد الباذخ درجات، أشبع الدواوين تحريرًا، وأوسع محال الدروس تقريرًا، فهو خاتمة الأئمة، وختام علماء الأمة..»[1] إلى آخره كلامه في الثناء عليه.

وكان رحمه الله من أسرة علمية عريقة، فآباؤه كانوا من أهل العلم لهذا كان يقول: «لم يعهد لنا جد إلا وهو حنبلي».

---

(١) «النعت الأكمل» (٢٢٣). دار الفكر.

وكذلك سلالته، فابنه محمد أبو المواهب ت١١٢٦هـ، وحفيده عبد الجليل بن أبي المواهب ت ١١١٩هـ، وابن حفيده محمد بن عبد الجليل بن أبي المواهب ١١٤٨هـ، وحفيد حفيده عبد القادر بن محمد بن عبد الجليل الشهير بالمواهبي ت ١١٥٦هـ، كلهم علماء.

قال الشيخ مصطفى الحموي في ترجمته: «كان من أحبار هذه الأمة المحمدية، والناشرين لواء السنة النبوية، صارفًا أوقاته فيما يصلح دينه ودنياه، مواظبًا على إقراء العلم ومذاكرته، وطاعة مولاه، ملازمًا لقراءة التفسير والحديث بمسجد بني أمية بين العشاءين؛ بحيث لا يترك الدرس صيفًا وشتاءً، وفي الليالي المشهورة؛ كليلة العيدين، وختم في الوقت كتبًا كثيرة، كـ: «المواهب»، و«الصحيحين»، و«البيضاوي»، و«الجلالين»... وقد حضرتُ دروسه كثيرًا ولله الحمد، وأنا مميزٌ، مع خالي الشمس محمد بن حسين الملا ـ رحمه الله تعالى ـ، ودخلتُ في عمومِ إجازته لِمَنْ حضره»[1].

تلاميذه:

أخذ عنه خلق لا يحصون منهم:

١ ـ الشيخ عبد الحي العكبري المعروف بابن العماد صاحب شذرات الذهب.

٣ ـ الشيخ أحمد الدومي الحنبلي.

٤ ـ ولده الشيخ محمد أبو المواهب بن عبد الباقي.

٥ ـ الشيخ عبد القادر بن عبد القادر التغلبي.

٦ ـ الشيخ برهان الدين إبراهيم الكوراني الشافعي.

---

(١) «فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر» للحموي ٤/ ٤٨٢. دار النوادر.

٧ ـ الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي.

مؤلفاته:

١ ـ «رياضُ الجنَّةِ في أسانيد الكتاب والسُّنَّة»، قال عبد الحي الكِتاني: (وثَبَتُهُ هذا ألطَفُ ما كتبَهُ أهل الشام في القرن الحادي عشر، وأجمعُ وأفيدُ، وهو في مجلَّدٍ وسطٍ عندي منه نُسخة عليها خطُّ ولدِهِ الشيخ أبي المواهب، وقد بنى الشيخ ثبته هذا على إجازة للملا إبراهيم الكُوراني المدني وألَّفَهُ سنة ١٠٦٤هـ)[١].

٢ ـ «العين والأثر في عقائد أهل الأثر» وهو مختصر في عقائد السادة الحنابلة، وأحد المختصرات المعتمدة عندهم في الدرس منذ تأليفه إلى يومنا هذا.

٣ ـ «إنسان العين وجلاء الغين» مختصر للكتاب السابق.

٤ ـ شرح على «صحيح البخاري» لم يكمله.

٥ ـ «رسالةٌ في قراءة عاصم».

وفاته: توفي رحمه الله ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة سنة ١٠٧١هـ، ودفن بتربة الغرباء من مقبرة الفراديس.



(١) «فهرس الفهارس» للكتاني ١/ ٤٥١. دار الغرب الإسلامي.



من الإجازات العلمية للمؤلف(١)

إِجَازَةُ الشَّيخِ مَرْعِي بن يُوسُف الكَرْمِيّ الحَنْبَلي(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لك اللهم يا من تسربل باللاهوتية الأزلية، وتفرد بالربوبية السرمدية، أنت المدبر للأكوان، والملوِّنُ للألوان، أبرزت العالم من العدم، وعلَّمتَ الإنسان(٣)، وأفضتَ على هيكله القابل أنواع المعارف والبيان، ومن جدَّ وَجَدَ ما ينقصُر عن وصفه اللسان، تباركتَ في كمالك وتنزَّهتَ في جلالك، وتعاليت في عُلُوِّكَ، وتساميتَ في سُمُوِّكَ، فلك الشكر كما ينبغي لجلال مجدك، وإن من شيءٍ إلا يُسَبِّحُ بحمدك، أحمدُكَ على ما أوليتنا من الأفضال والإنعام، وأشكرك على أن جعلتنا من الذين مننت عليهم بمعرفة الأحكام، والصلاة والسلام على الرحمة العام، للخاص والعام سلطان الأنبياء الكرام، وصاحب المقام المحمود

---

(١) كانت الإجازة العلمية أشبه بالشهادة الأكاديمية في زماننا، ولا يحصل عليها الطالب إلا بعد طول ملازمة للشيخ وحتى يثق بأهليته لذلك، وهذه الإجازات التي حصل عليه المؤلف غالبها مخطوط لم يصل إليه كثيرٌ من الباحثين فرأيت أن من الفائدة نشرها هنا لبيان قدر المؤلف وحفاظًا لها من النسيان.

(٢) هو: الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي، نسبة لطور كرم قرب نابلس، أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر، له مؤلفات منها في الفقه الحنبلي: غاية المنتهى ودليل الطالب، توفي ١٠٣٣هـ، «السحب الوابلة» لابن حميد ٣/ ١١١٨. مؤسسة الرسالة.

(٣) هكذا في الإجازة التي بخط المُجيز ولعل بعدها: (ما لم يعلم) ليستقيم السجع.

قال ذلك وكتبه أحقر الورى وأذل الفقرا من لا شي وعمله سي

مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي

وذلك بالجامع الأزهر في تاسع عشر شهر رمضان عام اثنين ثلاثين وألف





إِجَازَةُ الشَّيخِ مَنْصُورِ بن يونُس البُهُوتِيّ الحَنْبَلِيّ(١)

الحمد لله الذي شرَّفَ العلم واختار له من عباده الأخيار، وأشرق في قلوبهم شمس المعارف وبدر العوارف، فكانوا هداية لأولي الأبصار، وأفاض عليهم سجال إسعاده، وأمطر عليهم سحائب غيث إمداده، فأشرقت منهم الأنوار، وأغناهم عما سواه فحازوا السعادات، وكانوا منتهى الإرادات لذي العقول والأفكار، وكفاهم بالإرشاد فحظُوا بتحرير المراد، ومحرَّرِ السداد، وكانوا عمدة في الأبرار، وكشف بهم عن الفضائل الحجاب، وفتح لهم الأبواب، وأزال عنهم بلذيذ العرفان التَّرح والأغيار، أحمده سبحانه وتعالى على أفضاله ومزيد نواله وفيض الأسرار، وأشكره على إسعافه وإمداده وتيسيره وتسهيله وإرشاده فهو الحقيق بالشكر في الغُدُوِّ والآصال والأسحار والإبكار، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة نرجو بها الفوز والفلاح والرشد والسداد والنجاح يوم البوار، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله، وحبيبه وصفيه وخليله، المختار من الخيار الخيار، القائل وهو الصادق الأمين: (من يُرِد الله به خيرًا يفقه في الدين) فأعظِمْ بذلك من إخبار، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه وأحبابه في جميع الأعصار، ما وَرِثَ المجد الأفاضل كابرًا عن كابرٍ وفاضل وحُفِظَت الآثار، آمين.

....

(١) هو: الشيخ منصور بن يونس البُهُوتي الحنبلي، شيخ الحنابلة بمصر، وخاتمة علمائهم، توفي ١٠٥١هـ، «السحب الوابلة» لابن حميد ٣/ ١١٣١ مؤسسة الرسالة.

أما بعدُ:

فإن العلم عالي القدر عظيم الفخر رفيع المقدار، لا شرف إلا لأهله، ولا عز إلا لآله في جميع البلاد والأمصار، يا له من وصف لا ينقص فخاره ولا ينقض مقداره، بل يضاعف به الوقار، ولما كان أنفسَ نفيس، وأجلَّ ما عليه البناء والتأسيس، ومبنى قواعد العز والفخار، قيض الله له قواطع، وجعل له موانع؛ ليرسخ قدم من له العناية تختار، ويميز الله الخبيث من الطيب لأولي الأفكار، فصرف عنه الأشرار، ويسر له من عبادة من أسعده بإمداده، وأمده بإسعاده، وحظاه بإرشاده وأفاض عليه الأنوار، واجتبى له قلوبًا صافية، وأفئدة واعية، لا تمنعها الأكدار، وأزهر لهم رياض العرفان، وأمدها بوابل الفهم في الفرقان، وكشف عن قلوبهم الغشاء والأستار، فرتعوا في أوج السيادة، ونهلوا من بحار السعادة، ويا لها من بحار! وتفجرت لهم ينابيع الحكم، فكانوا خير الأمم، وكان عليهم المعوَّل والمدار، فأعظِمْ بهم من سادة وأكرمْ بهم من قادة، أفاضل أماجد أحرار، وأسمع بهم وأبصِرْ، وتدبَّرْ في أمرهم وفكِّرْ، تجدهم الهداة الأخيار، هذا وإنَّ ممن لاحظته العناية، وأرشدته الهداية، ووقي بأحسن وقاية، ووافته السعادة، ورامته السيادة، وسلمت له المعارف زمامها، وأسست عليه العوارف رواقها، وسُدَّتْ به الفضائل نطاقها، وألقت له المفاخر عصبها، واستعارت منه المعالي حليها، وسعدت به لياليه والأيام، وتفاخرت بمثله الأفاضل والكرام، والحبر الهمام، والفاضل الواحد الإمام، أوحد الفضلاء، وزين النُبَلاء، البارع الكامل، الصالح والماجد، الفالح الناجح، جامع أشتات الفضائل، وحاوي أشتات الفواضل، ذو الفضل المُبين، والذكاء المتين، العمدة في نقله وتحقيقه، القدوة في تحريره وتدقيقه، العالم العلامة، والعمدة الفهامة، ذي المناقب الرفيعة الشأن، والمفاخر المحمود بكل لسان، كاشف المُشكلات، ومنور دُجَى المُغلقات، الشيخ

عبد الباقي ابن الشيخ العلامة، والعمدة الفهامة، مُفيد الطالبين، عمدة المحققين، قدوة المدققين، ذي العز الفاخر، والثناء الظاهر، الشيخ عبد الباقي ابن الشيخ العالم العمدة الفهامة مفتي المسلمين، ومفيد الطالبين، وأوحد الفضلاء العالمين، قدوة الأماجد المحققين، عمدة الأفاضل المدققين، القاضي زين الدين عبد القادر البعلي الحنبلي، ألا وإنه في رحلته إلى الديار المصرية، والبقاع النيرة الأزهرية طلب العلم حق الطلب، ورغب فيه كل الرَّغَب، واجتهد فجدَّ ووجد ما نال وطلب، لم ترم مروءته القليل، وإنَّما اختارت ما به شفاء كل عليل، وهكذا شأن أهل الهمم العالية، المروات الوافية، والخصال السنية، والصفات الكملة العلية، فلازم من بمثلهم يهتدى، وأخذ عمن بنحوهم يقتدى، فقرأ عليَّ وحضر عندي في جملة من العلوم الشرعية والعقلية، المحررة المرضية، واختار من المصنفات في تلك الفنون الكتب المعتمدة المحررة، المنقحة المهذبة المعتبرة، فمن ذلك في الفقه الكتاب الموسوم بِـ «منتهى الإرادات» وشيئًا من «شرحه» لمؤلفه شيخ الإسلام وعمدة الأنام العلامة الفهامة الشيخ تقي الدين الفتوحي الشهير بابن النجار، و«مختصر المقنع» للشيخ العالم والعامل والفاضل الكامل مفتي المسلمين مفيد الطالبين الشيخ موسى الحجاوي، وشيئًا من كتابه الموسوم بـ «الإقناع» وشيئًا من «كتاب» الولي الصالح الشهير بالخِرَقي، وفي أصول الفقه جملة من «مختصر التحرير» و«شرحه» للعلامة ابن النجار المتقدم ذكرُهُ، وفي الفرائض «شرح المنظومة الرحبية» للشيخ الإمام الواحد الهمام عبد الله الشنشوري الشافعي الخطيب، ومعظم «شرح كشف الغوامض» للشيخ الصالح الفرضي محمد سبط المارديني، و«رسالة» لابن الهائم في المناسخات والجداول، وفي النحو معظم «الخلاصة» للإمام النحوي محمد بن مالك، وقطعة من «شرحها» للعلامة المرادي، وجملة من «شرح الشذور» للشيخ

العلامة جمال الدين بن هشام الأنصاري النحوي، وشرح «الآجرومية» و«الأزهرية» كل منهما للشيخ الفاضل الصالح البارع الناجح العلامة خالد بن عبد الله الأزهري.

كل ذلك بفهمٍ وتحرير وتدقيق، وقد سألني أن أجيزه بذلك تأسيًا بالسلف الصالح، والحزب الناجح، فأجبته لذلك، وأجزته بكل ما ذكر وبجميع ما يجوز لي وعني روايته بشرطه المعتبر عند أهل الأثر والخبر، سائلًا منه الدعاء بالهداية، والتوفيق والعناية.

والحمد لله أولًا وآخرًا فهو الحقيق بأن يحمد والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

تحريرًا في أواسط شهر رمضان المعظم

من شهور سنة ثنتين وثلاثين من الهجرة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام على مر الأيام

قال ذلك فقير رحمة ربه العلي

منصور بن يونس البهوتي الحنبلي

عُفِيَ عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين أجمعين آمين





التعريف بكتاب
العين والأثر في عقائد أهل الأثر

لكتاب «العين والأثر في عقائد أهل الأثر» قيمة علمية بين كتب العقائد الحنبلية لما امتاز به من حسن الترتيب والإيجاز غير المخل، وقد بين المصنف رحمه الله في مقدمته أنه أَلَّفَهُ بناء على طلب بعض أصدقائه ـ وهو الكوراني الشافعي كما سيأتي ـ أما منهجه وترتيبه فقد قسمه إلى **ثلاث مقاصد**:

المقصد الأول: في المنصوص من عقائد الحنابلة عن الإمام أحمد رضي الله عنه وفي هذا القسم استفاد المؤلف كثيرًا من كتاب: «نهاية المبتدئين في أصول الدين»(١) للإمام أحمد بن حمدان الحنبلي المتوفى سنة ٦٩٥هـ ونقل الكثير من عباراته بتصرف يسير في بعضها، وقسم هذا المقصد إلى خمسة أبواب رئيسية مقسمة إلى فصول وخاتمة وتتمة وهي:

الباب الأول: في معرفة الله تعالى.

الباب الثاني: في الأفعال.

---

(١) وقد بين معاصره الشيخ محمد ابن بلبان الحنبلي ت ١٠٨٣هـ في مقدمة كتابه: «قلائد العقيان في اختصار عقيدة ابن حمدان» قيمة هذا الكتاب وعناية الحنابلة به فقال: (... **فلما رأيت عقيدة الإمام العالم العامل، الزاهد الورع، المحقق المدقق المتقن ابن حمدان رضي الله عنه وأرضاه، وجعل بحبوحة الجنان مسكنه ومثواه قد تُلُقِّيت بالقبولِ والتعظيم، وحظيت بالاحترام والتكريم، وكيف لا؛ وهي من أنفع العقائد، وأجل الفوائد، وأعذب الموارد، وأجمع الشوارد**) قلائد العقيان (٩٢). دار المنهاج بجدة.

الباب الثالث: في الأحكام.

الباب الرابع: في السمعيات.

الباب الخامس: في النبوة.

المقصد الثاني: فيما وقع من المسائل الخلافية بين الحنابلة والأشاعرة مع ذكر أدلة الحنابلة.

المقصد الثالث: في مسألة الكلام ولأهميتها خالف المصنف رحمه الله طريقته في الكتاب فبسط هذه المسألة، وذكر ما نقل عن الإمام أحمد فيها، واستدل بكلام عدد من أهل العلم.

وقد اشتغل الحنابلة بهذا الكتاب دراسة وتدريسًا واعتدوا به وأثنوا عليه:

قال العلامة محمد السفاريني ت ١١٨٨هـ في مقدمة شرحه لمنظومته: «أنه في سنة ١١٧٣هـ، طلب منه أحد طلابه النجديين، نظم مختصر في العقيدة، ليسهل حفظُه على المبتدئين، وأذكر أن تلميذه هذا قرأ عليه جملة من مختصرات العقائد، منها: «لمعة الإمام الموفق»، و«مختصر نهاية المبتدئين» لابن بلبان، و«العين والأثر» للشيخ عبدالباقي»[1].

---

(١) «لوامع الأنوار» للسفاريني ١/ ٣. مؤسسة الخافقين، وممن درس كتاب: «العين والأثر» من النجديين على العلامة محمد السفاريني الشيخ محمد بن طراد النجدي ت ١٢٢٥هـ، قال الشيخ عثمان بن منصور النجدي: «في سنة ١١٧٧هـ قَدِمَ دمشق ـ أي: ابن طراد ـ في صفر فمكث فيها سنة وشهرين ثم قدم نابلس على الشيخ السفاريني في ربيع الآخر من سنة ١١٧٨هـ وقرأ عليه في الفقه والعربية وعقيدة والد أبي المواهب عبد الباقي المسماة: «العين والأثر»» التحفة الوضية: ٦٥ جداول للنشر.

وقال الشيخ عبد الله القدومي ت ١٣٣١هـ شيخ الحنابلة في فلسطين في كتابه: «المنهج الأحمد في درء المثالب التي تنمى لمذهب الإمام أحمد»: «اعلم رحمك الله تعالى أن أشهر عقائد علمائنا المتأخرين «عقيدة» العالم الرباني الشيخ بدر الدين الشهير بالبلباني اختصرها من «نهاية المبتدئين في أصول الدين» للإمام بن حمدان، ويليها «عقيدة» العالم القائم بأمر الله المتبع لسنة رسول الله ﷺ خاتمة السلف بقية الخلف من اتفق أهل دمشق على صلاحه وورعه وزهده وموافقته للسَّلف الصالح، مع الاجتهاد في كل كدح ناجح الشيخ عبد الباقي البعلي ثم الدِّمشقي مفتي السادات الحنابلة في الديار الشامية»[1].

زمن تأليف الكتاب: ورد في بعض النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق أن المؤلف فرغ من تأليفه في يوم الجمعة ٣/ ٢/ ١٠٧١هـ[2] فيكون بين الفراغ منه وبين وفاة مؤلفه رحمه الله عشرة أشهر وبضعة أيام.

مختصره: قام المؤلف بعد فراغه من تأليفه باختصاره لابنه أبي المواهب محمد[3] فقال في المقدمة: «أني لما ألفت رسالتي المسماة: بـ«كتاب العين والأثر في عقائد أهل الأثر» طلب مني الولد الأعز ثمرة الفؤاد أبو المواهب جعله الله في

(١) «المنهج الأحمد في درء المثالب التي تنمى لمذهب الإمام أحمد» (٩١). دار الرياحين.

(٢) ورد في نسختين من النسخ المعتمدة في التحقيق أن المؤلف فرغ منه سنة واحد وتسعين وألف ولعله سبق قلم تتابعوا عليه؛ لأن كل المصادر التي ترجمة للمؤلف اتفقت على أن تاريخ وفاته سنة واحد وسبعين.

(٣) هو الشيخ محمد بن عبد الباقي الحنبلي البعلي الدمشقي، مفتي الحنابلة بدمشق، كنيته أبو المواهب وبها اشتهر وعُرف، توفي سنة ١١٢٦هـ «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» لابن حميد ١/ ٣٣٤. مؤسسة الرسالة.

بركة رب العباد آمين أن اختصرها في أوراق قليلة ليسهل الاشتغال على المبتدئين، ويرغب بها أكثر المشتغلين، فأجبته وبالله أستعين، وسميتها بِـ: «إنسان العين وجلاء الغين»» ولم يرد في ترجمة المؤلف أن له اختصارًا لكتابه مع كثرة من ترجم له ولابنه أبي المواهب إلا في نسخة خطية بخط الشيخ عبد السلام الشطي الحنبلي[١] نقلها من نسخة من خط المؤلف، وهذا كافٍ في نسبة الكتاب إليه مع ما عُرِفَ عن الشيخ عبد السلام من العناية بكتب الحنابلة.

تنبيه مهم: للشيخ إبراهيم الكوراني الشافعي ت ١١٠١هـ[٢] كتاب بنفس الاسم كُتِبَ على غلاف نُسخة منه منسوخة من نسخة المؤلف تاريخها ١٠٧٣هـ: (العين والأثر للكوراني، لكن لا كل الكتاب بل جُلُّهُ فإن بعضه من كلام شيخنا الشيخ عبد الباقي الحنبلي البعلي ثم الدمشقي تغشاه الله برحمته كما هو مفصل في الصفحة اليمنى بعض التفصيل، مولده ليل السبت ثامن شهر ربيع الثاني من شهور سنة خمس بعد الألف فيما كتب به إليَّ من دمشق، ومن خطه نقلتُ، قال: إنه وجد كذلك مكتوبًا بخط والده على ظهر كتاب الإقناع، وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٠٧١هـ فيما كتب به إليَّ ولد الشيخ أبو المواهب وفقه الله، وجعله خلفًا صالحًا آمين، وذلك أنه لما أَلَّفَ رسالته المسماة بالعين والأثر بطلبي منه ذلك كتب يأذن لي بتحريرها، فلمَّا حررتها بعد إذنه.

---

(١) هو الشيخ عبد السلام الشطي الحنبلي، عالم حنبلي كان إمام محراب الحنابلة في الجامع الأموي توفي بدمشق سنة ١٢٩٥هـ «مختصر طبقات الحنابلة» للشطي (١٦٢). مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٣٩هـ.

(٢) هو الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني الشافعي ولد سنة ١٠٢٥هـ عالم صوفي مشارك في عدة فنون، توفي سنة ١١٠١هـ. «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» للمرادي ١/ ٥. المطبعة الميرية ببولاق.

ثانيًا. وبعد إذن شيخنا الإمام قدس سره تكلمتُ على لسانه، وكتبتُ إليه أن أعزو الرسالة لكم، فإنَّا حررناها لكم، فكتبَ لنَا هذه النسخة، وعزاها إلى الفقير، فكتبتُ بعض التفصيل في الصفحة اليمين؛ ليكون الناظر على بينة من الأمر نصيحة في الدين، والحمد لله رب العالمين. نُقِلَ من خط المؤلف).

فالكوراني أراد نسبة كتابه للشيخ عبد الباقي إلا أن الشيخ نسبه إلى صاحبه الكوراني، وكتاب الكوراني في غاية الأهمية زاد فيه من النقول والمناقشاتِ ما يدلُ على تضلعه وسعة اطلاعه، وخصص في آخره فصلًا للكشف عن حقيقية عقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ومازال كتابه مخطوطًا حتى الآن، وهو جدير بالطباعة والنشر.

وقد ذكر العياشي في رحلته أن شيخه الكوراني لما عزم على تأليف كتابه: «إفاضة العلام بتحقيق مسألة الكلام» الذي تناول فيه الخلاف بين الحنابلة والأشاعرة بطلب من شيخه صفي الدين أحمد بن محمد بن يونس القُشَّاشي ت ١٠٧١هـ[1] كتب للشيخ عبد الباقي أن يكتب له عقيدة الحنابلة فقال: «ولذلك طلب شيخنا ـ أي: الكوراني ـ عند عزمه على البحث في هذه المسائل بإشارة شيخه الصفي إلى عبد الباقي الحنبلي البعلي الدمشقي، وهو إذ ذاك كبير الحنابلة وإمامهم

(١) أصله من القدس انتقل جده (يونس) إلى المدينة وكان متصوفًا متقشفًا فاحترف بيع القُشَاشة وهي سقط المتاع فعرف بالقشاشي. وولد حفيده صفي الدين بالمدينة، وبها اشتهر وتوفي، وكان مالكي المذهب وتحول شافعيًا، فصار يفتي في المذهبين وله نحو سبعين كتابا أكثرها في التصوف، منها شرح الحكم العطائية. الأعلام للزركلي ١/ ٢٣٩. دار العلم للملايين، وترجم له العياشي في رحلته ترجمة موسعة ١/ ٥٧٨. دار السويدي.

علمًا وعملًا وصلاحًا بدمشق ليكتب له بمعتقد الحنابلة محررًا مبينًا بأدلته حتى لا يُنسب إليهم شيئًا مما [لم]يقولوه»(١).

ثم نقل العياشي عن شيخه الكوراني براءة الحنابلة مما ينسب إليهم بعد رجوعه إلى كُتُبِهُم المعتمدة في الاعتقاد: «قال لي لما أمعنتُ النظر في رسائلِ القومِ ومصنفاتهم وجدتهم برآء من كثير مما رموهم به أصحابنا الشافعية من التجسيم والتشبيه، وإنما القوم متمسكون بمذاهب كبراء المحدثين كما هو المعروف من حال إمامهم رضي الله عنه من إبقاء الآيات والأحاديث على ظاهرها والإيمان بها كذلك، مفوضين فيما أشكل معناه، وهذا لا يذمه أحد من الأشعرية، بيد أن الحنابلة مشددون في رد التأويل في ذلك مجهلون من يذهب إليه كالأشعرية، فيقولون: الله ورسوله وسلف الأمة أدرى بمعاني الآيات والأحاديث من هؤلاء المؤولين، وما ورد عنهم أنهم أولوا شيئًا من ذلك»(٢).

وممن ذكر تفاصيل هذه الحادثة السيد جعفر بن حسن البرزنجي ت ١١٧٧هـ في كتابه: «التقاط الزهر من نتائج الرحلة والسفر في أخبار القرن الحادي عشر» فقال: «ولما رجعتُ إلى القاهرة بعد أن جاورتُ الحرمين مدةً، ألَّفَ شيخنا كتابًا حافلًا سماه: «إفاضة العلام في مسألة الكلام» أرسل لي نسخة منه ـ قدس الله روحه ـ أهداها إليَّ وأمرني بمطالعتِها مراتٍ، وقد أجاد فيه كل الإجادة.

وقد عُلِمَ محلُ هذه المسألة وعِظَمُ قدرِهَا من علم الكلام، ومبنى هذا التأليف أولًا على تحقيق النزاع الذي بين الأشعرية والحنابلة في القول بالحرف والصوت،

....

(١) «رحلة العياشي» ١/ ٥٧٠. دار السويدي.

(٢) «رحلة العياشي» ١/ ٥٧١. دار السويدي.

وادعاء القِدم لها صونًا لجناب القرآن عن نسبة الحدوث إلى شيء منه، ولم يبالوا بما أداهم إليه ذلك من جحد الغرور[١] والمشاهدة في حدوثها وانقضائها.

وقد كثُرت المقالة في ذلك بين متأخري الشافعية والحنابلة حتى أدَّى ذلك إلى تضليل كُلٍّ من الفرقين صاحبه، وبسبب هذه المسألة وغيرها من المسائل التي تمسكت فيها الحنابلة بظواهر الكتاب والسنة كالاستواء والنزول والقَدم والوجه والعينين وغير ذلك من أحاديث الصفات، حَكم بتضليل شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن تيمية، وأتباعه كالعلامة ابن القيم معاصروه من الشافعية كالسبكي وغيرهم، وتحاملوا عليه، ونسبوه إلى العظائم.

وقد أجاد شيخنا بالفحص عن كل ما نُسِبَ إلى الحنابلة، ولم يقلد في ذلك أهل تحقيق محل النزاع، ونسبته كل واحد منهما صاحبه، أي: لازم قوله وتعليقه بظواهر أقواله، وإن كان صريح كلامه ما يدفع تلك اللوازم، ويحيل عن تلك الظواهر؛ ولذلك كتب شيخنا عند عزمه على البحث في هذه المسائل بإشارة من شيخه الصفي القشاشي إلى الشيخ عبد الباقي الحنبلي البعلي، ثم الدمشقي، وهو إذ ذاك كبير الحنابلة وإمامهم علمًا وعملًا وصلاحًا بدمشق؛ ليكتب له بمقتصد[٢] الحنابلة محررًا مبينًا بأدلته حتى لا يُنسب لهم شيئًا مما لم يقولوا... وكتب إليه الشيخ عبد الباقي رسالته متضمنة لجميع ما طلب منه بيانه»[٣].



(١) هكذا في المطبوع.

(٢) هكذا في المطبوع، ولعلها: بمعتقد.

(٣) «التقاط الزهر من نتائج الرحلة والسفر في أخبار القرن الحادي عشر» ٦٥. دار الكتب العلمية.



النسخ المعتمدة في التحقيق

النسخة الأولى: مصورة عن مكتبة (لا له لي) بتركيا ضمن مجموع برقم: (٣٧٦٧)، ناسخها: عبد الرحيم بن مصطفى الصيرفي، وتاريخ نسخها: أواخر شهر شعبان سنة ١٠٨٦هـ، وعدد أوراقها: (٢١)، وعدد أسطرها: (٣٤)، ورمزت لها بالحرف (أ)، وهي أحسنُ النسخ حالًا، وأقلها تصحيفًا، وقد وقفتُ عليها بعد الفراغ من مقابلة الكتاب، ولو كنتُ وقفتُ عليها مبكرًا لاستغنيتُ عن النسخ المتأخرة.

النسخة الثانية: مصورة عن مكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٣٧٧)، ناسخها: رشيد النجدي الحنبلي، وتاريخ نسخها: يوم السبت ٢٥ ربيع الأول سنة ١١١٤هـ، وعدد أوراقها: (٢٦)، وعدد أسطرها: (٢٧)، ورمزت لها بالحرف (ر).

النسخة الثالثة: نسخة أصلية في مكتبتي الخاصة، وليس عليها اسم ناسخ، وتاريخ نسخها: يوم الاثنين آخر شهر ذي الحجة سنة ١٢٠٨هـ، وعدد أوراقها: (٣١)، وعدد أسطرها: (٢٥)، ورمزت لها بالحرف (م).

النسخة الرابعة: مصورة عن المكتبة التيمورية المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم (٣٩٢)، وليس عليها اسم ناسخ، وتاريخ نسخها: يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ١٢٣٧هـ، وعدد أوراقها: (٣٢)، وعدد أسطرها: (٢٢)، ورمزت لها بالحرف (ت).

النسخة الخامسة: أصلها في مكتبة الملك فهد ولها مصورة في جمعة الماجد برقم (٧٢١٥٤٤)، مُلا قاسم بن محمد سالم البغدادي منشأً والنجدي أصلًا

والحنبلي مذهبًا والسلفي اعتقادًا[1]، وتاريخ نسخها: صبيحة يوم الخميس ٢٨ من شهر شعبان ١٢٤١هـ، وعدد أوراقها: (٣٢)، وعدد أسطرها: (٢٤)، ورمزت لها بالحرف (ج)، زودني بها الشيخ الفاضل أحمد بن ثاني الفلاسي.

النسخة السادسة: مصورة عن وزارة الأوقاف الكويتية برقم (١٣٨)، ناسخها: العالم الكويتي الشيخ عبد الله بن خلف بن دحيان الحنبلي، وتاريخ نسخها: يوم الخميس ١٥/ ١٢/ ١٣١٠هـ، وعدد أوراقها: (٢٧)، وعدد أسطرها: (٢٤)، ورمزت لها بالحرف (ع).

النسخة السابعة: وهي النسخة المطبوعة في مطبعة الترقي في بومبي في الهند سنة ١٣٢٤هـ على نفقة فهد بن خالد الخطير من أهل الكويت، وعدد أوراقها: (٣٢)، وعدد أسطرها: (٢١)، رمزت لها بالحرف (ط) زودني بها الشيخ الفاضل علي بن متعب الحبشان.

نسخة إنسان العين وجلاء الغين: مصورة عن المكتبة التيمورية المحفوظة في دار الكتب برقم (٤٦٨)، ناسخها: العلامة الشيخ عبد السلام الشطي الحنبلي، وتاريخ نسخها: ١٢٧٣هـ وعدد أوراقها: (١٢)، وعدد أسطرها: (٢٦).



(١) تنبيه مهم: يكثر في المخطوطات الحنبلية وصف ناسخيها أنفسهم بـ: «الأثري» أو «السلفي» وليس المراد بهذا الوصف الانتساب للسلفية المعاصرة (الوهابية)، بل مرادهم الانتساب لعقيدة الحنابلة التي يمثلها هذا الكتاب فتنبه.



منهج التحقيق

١ ـ لم أجعل إحدى النسخ أصلًا؛ لأن النسخ المعتمدة في التحقيق متقاربة في مستواها لم تسلم جميعها من الخطأ والتصحيف؛ لذلك قابلتُ بينها، واعتمدتُ على طريقة النص المختار.

٢ ـ جميع النسخ لا تخلو من التصحيف والنقص، ولم أشر إلى أخطائها لكثرتها، فرأيت أنه لا فائدة من ذكرها إلا إثقال الكتاب بالهوامش، فأعرضتُ عن ذلك، وأثبتُ أهمَ الفروقِ بين النُّسَخِ، فجهدي كان منصبًا على ضبط النص دون غيره، وإخراج الكتاب كما أخرجه مصنفه رحمه الله أو قريبًا منه.

٣ ـ لم أكتف بمقابلة نص الكتاب على النسخ المعتمدة في التحقيق بل استعنت كذلك ببعض كتب العقائد المعتمدة عند أصحابنا رضي الله عنهم كـ: «نهاية المبتدئين في أصول الدين» للشيخ أحمد بن حمدان، ومختصره: «قلائد العقيان» للشيخ محمد بن بلبان؛ فإن هذه الكتب متفقة في عباراتها في الغالب؛ فاستفدت منها عند اختلاف النسخ، واختيار العبارات المناسبة.

٤ ـ في المقصد الثالث والذي يعادل نصف الكتاب تقريبًا أكثر المؤلف ـ رحمه الله ـ من النقل ولم يلتزم النقل الحرفي، بل يختصر الكلام ويذكر خلاصته؛ فوثقتُ الكلام من مصادره مع ذكر الطبعة ليراجعه من أرد التوسع، ولم أنبه في الهامش إلى الخلاف بين الكلام المنقول وما في المصدر المنقول عنه، وكذلك فعلتُ عند اختلاف النسخ فأكتفي منها بما يوافق الكلام المنقول

دون الإشـارة إلـى اختـلاف النسـخ غالبًا حتى لا أثقـل الحاشـية بالهوامش.

٥ ـ قسمتُ المسائل بوضع كل مسألة مستقلة في بداية سطر جديد، وما تفرع منها تسهيلًا للمادة العلمية، وتقريبًا لمحتوى الكتاب.

٦ ـ قام المؤلف ـ رحمه الله ـ في المختصر بسرد المسائل دون تمييز بينها، فوضعت لها عناوينا وفصولًا جعلتها بين قوسين [ ].

٧ ـ أشرتُ في الهامش إلى زياداتِ المُخْتَصَرِ على الأصل ليسهل الوقوف عليها.

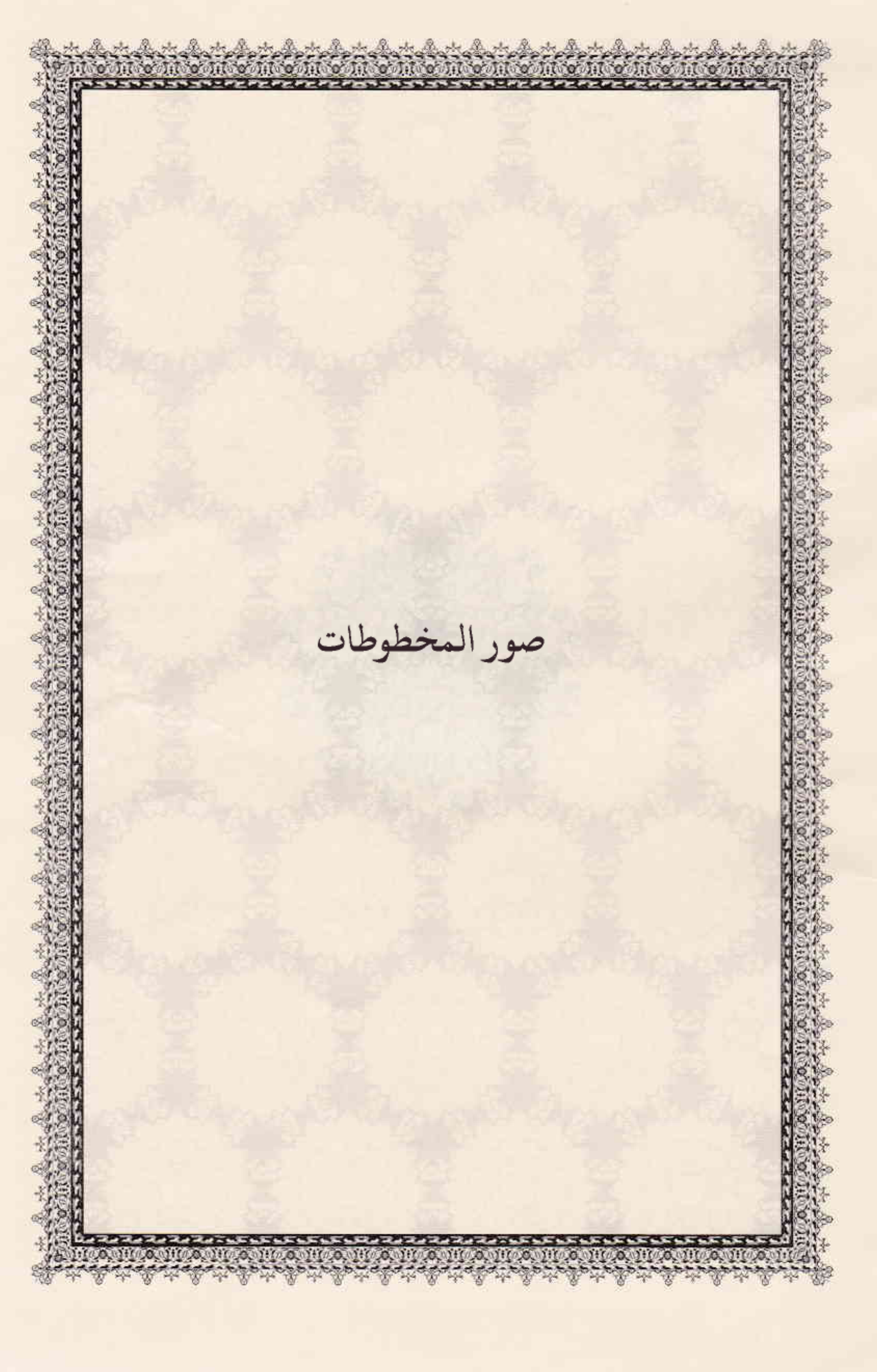
٨ ـ كتابة النص وفق القواعد الإملائية.

٩ ـ شكلت النص المحقق مع بيان الكلمات الغريبة.

١٠ ـ ترجمتُ للأعلام عند أول ورودهم وتركت الترجمة للصحابة والتابعين والعلماء المعروفين لشهرتهم.

١١ ـ خرجتُ الأحاديث والآثار تخريجًا مختصرًا بعزوها إلى مصادرها دون توسع.





صور المخطوطات

كتاب العين والأثر في عقائد
أهل الأثر تأليف الإمام العالم العلامة
القدوة الفهامة الشيخ عبد الباقي المواهبي
الحنبلي غفر الله له ولوالديه آمين

ويليها شرح البسملة

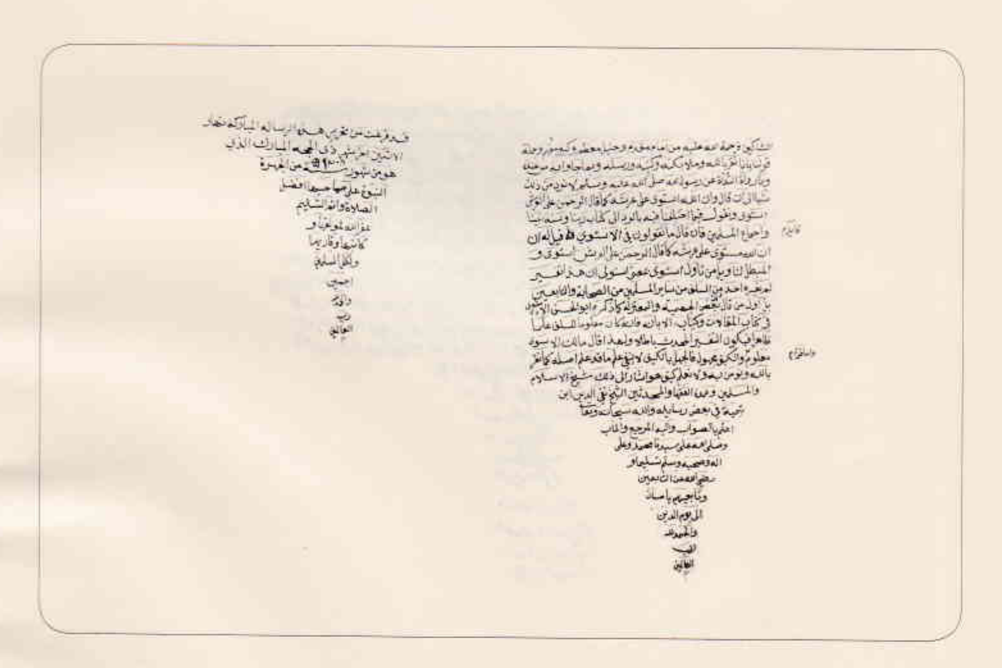
صورة الصفحة الأولى من النسخة (ر)

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ر)


كتاب العين والأثر في عقائد
أهل الأثر تأليف الشيخ الإمام والحبر الهمام

فايدة اركان الحج اربعة الوقوف بعرفة وطواف الزيارة
والاحرام والسعي وواجباته ثمانية الاحرام من الميقات
والوقوف من وقف بعرفة نهارا الى الغروب والمبيت
بمزدلفة الى بعد نصف الليل والمبيت بمنى ليالي ايام
التشريق والرمي وترتيبه والحلاق وتقصير وطواف
الوداع وهو الصدر بفتح الصاد المهملة واركان العمرة
ثلاثة احرام وطواف وسعي وواجباتها احرام من
الميقات او الحل وحلق او تقصير تمت

صورة الصفحة الأولى من النسخة (م)



صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (م)

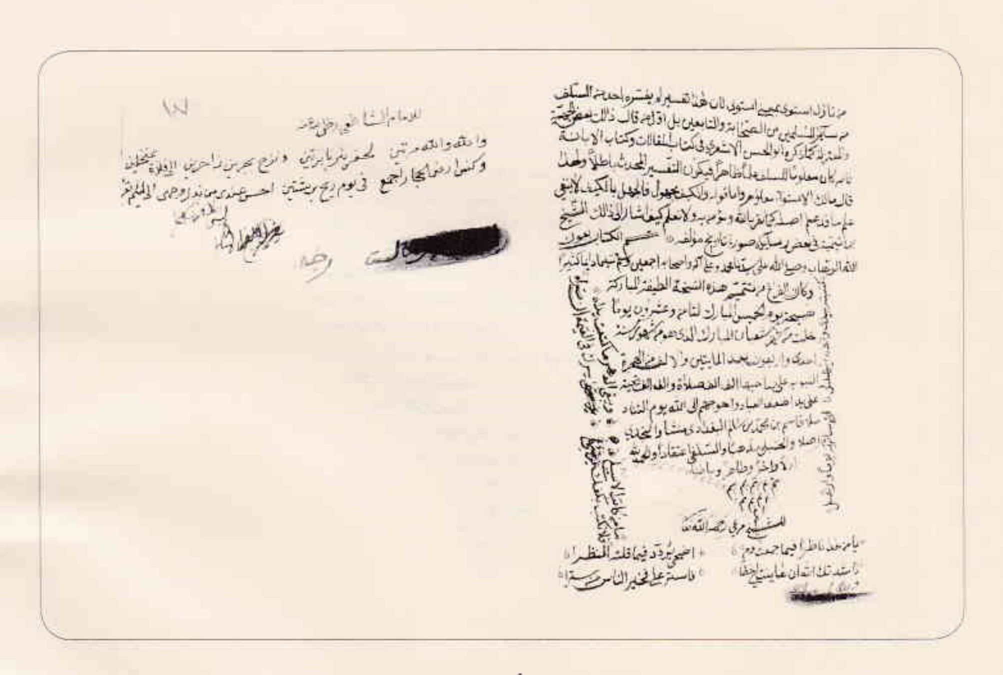


صورة الصفحة الأولى من النسخة (ت)

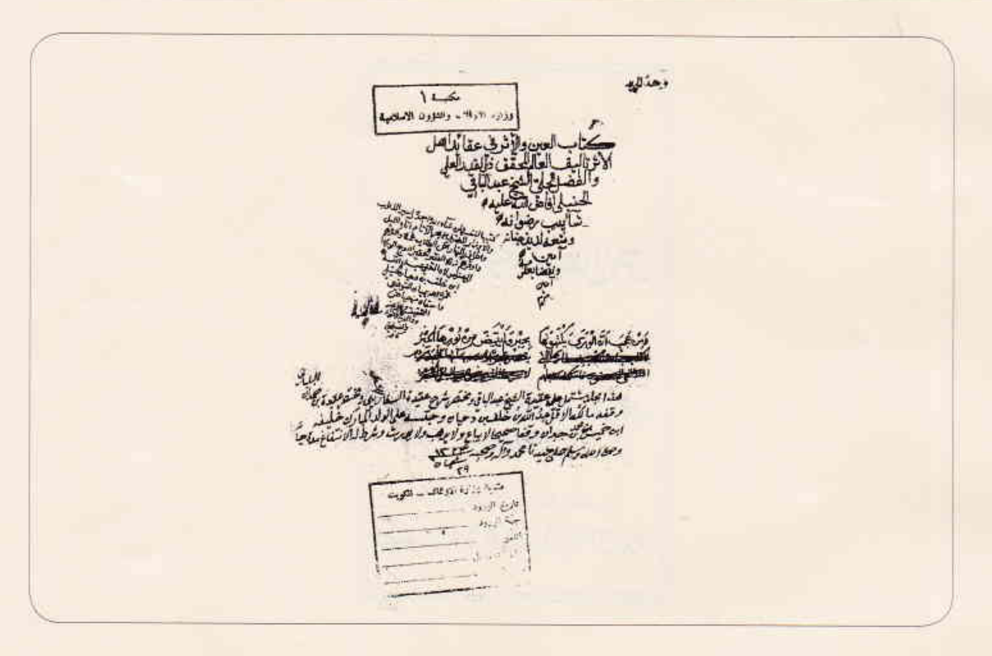
صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ت)



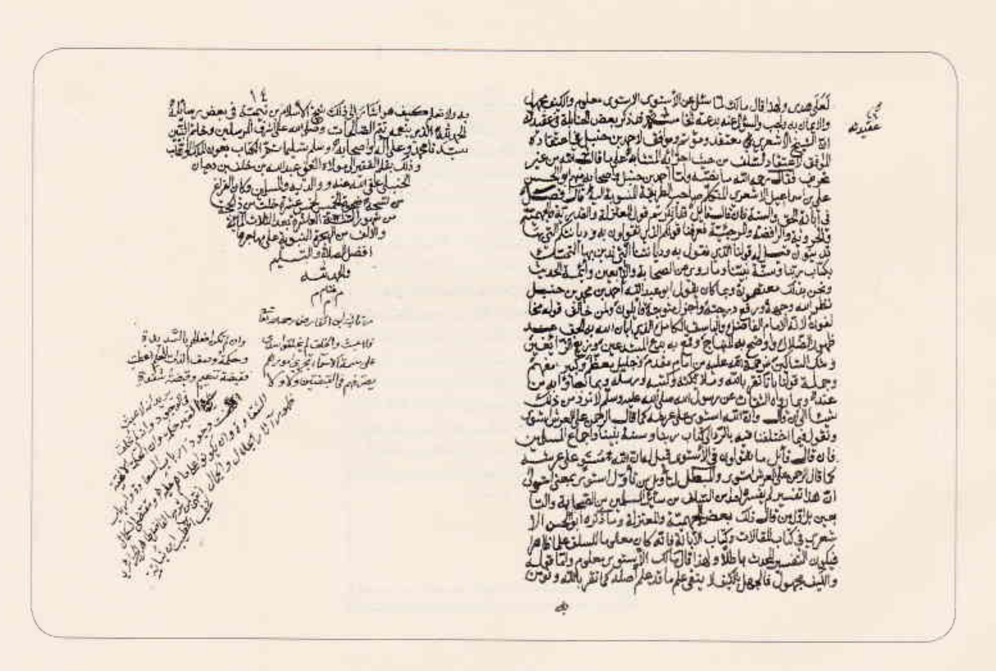
صورة الصفحة الأولى من النسخة (ج)



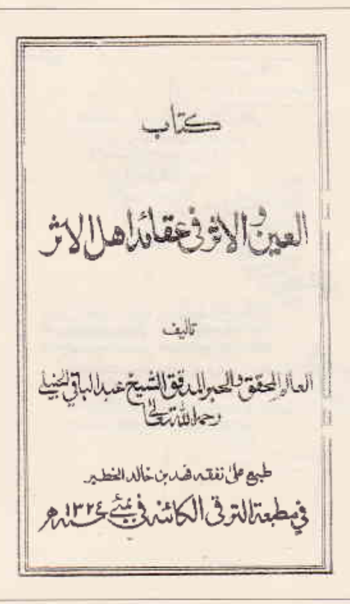
صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ج)



صورة الصفحة الأولى من النسخة (ع)



صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ع)



كتاب

العين والاثر في عقائد اهل الاثر

تاليف

العالم المحقق والحبر المدقق الشيخ عبد الباقي الحنبلي
رحمه الله تعالى

طبع على نفقة فهد بن خالد الخطير
في مطبعة الترقي الكائنة في بمبئ ١٣٢٤هـ

صورة غلاف النسخة المطبوعة (ط)



٣٢

الزائغين وشك الشاكين رحمة الله عليه من امام مقدم وجليل معظم وكبير
مفهم وجملة **قولنا** بانا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء به
من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من
ذلك شيئاً الى ان قال وان الله تعالى استوى على عرشه كما قال الرحمن على العرش
استوى ونقول فيما اختلفنا فيه بالرد الى كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع
المسلمين **فان قال** قائل ما تقولون في الاستواء **قيل** له ان الله مستو
على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى والمبطل لتاويل من تأول استوى
بمعنى استولى ان هذا التفسير لم يقله احد من السلف من سائر المسلمين
من الصحابة والتابعين بل اول من قال ذلك بعض الجهمية والمعتزلة
وما ذكره ابو الحسن الاشعري في كتاب المقالات وكتاب الابانة فانه كان
معلوماً للسلف علماً ظاهراً لم يكون التفسير المحدث باطلاً ولهذا قال
مالك الاستواء معلوم واما قوله والكيف مجهول فالجهل بالكيف لا ينفي
علم ما قد علم اصله كما نقر بالله ونؤمن به ولا نعلم كيف هو اشار الى ذلك
شيخ الاسلام ابن تيمية في بعض رسائله والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ولقد تم الكتاب وقلت
مجملا لتسويدي له وجرت تخرجاً بقيوان اذا له مختاراه في يوم المعاد يكون
ذخراً له

صورة غلاف الأخيرة النسخة من المطبوعة (ط)

رسالة الشيخ عبد الباقي الحنبلي رضي
الله عنه ونفعنا به
آمين



صورة الصفحة الأولى من إنسان العين وجلاء الغين

صورة الصفحة الأخيرة من إنسان العين وجلاء الغين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الَّذِي يُسْتَدَلُّ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِهِ بِبَدِيعِ مَالَهُ مِنَ الأَفْعَالِ، المُنَـزَّهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ عَنِ النَّظَائِرِ وَالأَمْثَالِ، أَنْشَأَ المَوْجُودَاتِ فَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالٌ، سُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ تَنَـزَّهَ عَنْ أَنْ يُدْرِكَهُ وَهْمٌ أَوْ يَحْصُرَهُ خَيَالٌ، بَلْ كُلُّ مَا خَطَرَ بِالبَالِ، فَهُوَ بِخِلَافِ ذِي الإِكْرَامِ وَالجَلَالِ.

أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ أَنْ هَدَانَا لِدِينِ الحَقِّ وَأَزَاحَ عَنَّا شُبَهَ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ مِنْ جَمِيعِ الأَخْطَاءِ وَالأَخْطَالِ، وَأَسْأَلُهُ لَنَا النَّجَاةَ فِي يَوْمٍ تَـزُولُ مِنْهُ الجِبَالُ.

وَأَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لَا شَـرِيكَ لَـهُ شَـهَادَةَ مُوَحِّـدٍ لَـهُ فِـي الغُـدُوِّ وَالآصَـالِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولَهُ نَبِيٌّ جَاءَنَا بِدِينٍ قَوِيمٍ فَارْتَوَيْنَا بِمَا جَاءَنَا بِهِ مِنْ عَذْبٍ زُلَالٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ خَيْرُ صَحْبٍ وَآلٍ، صَلَاةً دَائِمَةً مُتَوَاتِرَةً عَلَى مُرُورِ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا، **وَبَعْدُ:**

فَقَدْ طَلَبَ مِنِّي بَعْضُ الأَصْدِقَاءِ الَّذِينَ لَا تَسَعُنِي مُخَالَفَتُهُمْ أَنْ أَجْمَعَ مُؤَلَّفًا يَشْتَمِلُ عَلَى مَقَاصِدَ ثَلَاثَةٍ وَتَتِمَّاتٍ خَمْسٍ.

المَقْصَدُ الأَوَّلُ: فِي المَنْصُوصِ مِنْ عَقَائِدِ الحَنَابِلَةِ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

المَقْصَدُ الثَّانِي: فِيمَا وَقَعَ مِنَ الـمَسَائِلِ الخِلَافِيَّةِ بَيْنَ الحَنَابِلَةِ وَالأَشَاعِرَةِ وَذِكْرِ أَدِلَّةِ الحَنَابِلَةِ.

المَقْصَدُ الثَّالِثُ: فِي مَسْأَلَةِ الكَلَامِ وَذِكْرِ مَا نُقِلَ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ.

فَأَجَبْتُهُ إِلَى ذَلِكَ وَسَمَّيْتُهُ بِـ: «**كِتَابِ العَيْنِ وَالأَثَرِ فِي عَقَائِدِ أَهْلِ الأَثَرِ**» فَأَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.



المَقْصَدُ الأَوَّلُ

فِي المَنْصُوصِ مِنْ عَقَائِدِ الحَنَابِلَةِ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى: خَمْسَةِ أَبْوَابٍ، وَخَاتِمَةٍ، وَتَتِمَّةٍ.



البَابُ الأَوَّلُ

فِي مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى

❁ فَتَجِبُ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى شَرْعًا ـ وَمِمَّا وَرَدَ فِي الشَّرْعِ ـ: النَّظَرُ فِي الوُجُودِ وَالمَوْجُودِ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ قَادِرٍ.

❁ وَهُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ لَهُ تَعَالَى.

❁ وَأَوَّلُ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى الدِّينِيَّةِ، وَأَعْظَمُهَا: أَنْ أَقْدَرَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ.

❁ وَأَوَّلُ نِعَمِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ: الحَيَاةُ العَرِيَّةُ عَنْ ضَرَرٍ.

❁ وَشُكْرُ المُنْعِمِ وَاجِبٌ شَرْعًا.

❁ وَهُوَ: اعْتِرَافُهُ بِنِعْمَتِهِ عَلَى جِهَةِ الخُضُوعِ وَالإِذْعَانِ، وَصَرْفُ كُلِّ نِعْمَةٍ فِي طَاعَتِهِ.

❁ وَيَجِبُ الجَزْمُ بِأَنَّهُ تَعَالَى: **وَاحِدٌ** لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يَنْقَسِمُ، أَحَدٌ لَا مِنْ عَدَدٍ، فَرْدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

❁ وَبِأَنَّهُ تَعَالَى: **عَالِمٌ** بِعِلْمٍ وَاحِدٍ قَدِيمٍ، بَاقٍ ذَاتِيٍّ، مُحِيطٍ بِكُلِّ مَعْلُومٍ، كُلِّيٍّ أَوْ جُزْئِيٍّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

❁ فَلَا يَتَجَدَّدُ عِلْمُهُ بِتَجَدُّدِ المَعْلُومَاتِ، وَلَا يَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِهَا، لَيْسَ بِضَرُورِيٍّ، وَلَا كَسْبِيٍّ، وَلَا نَظَرِيٍّ وَلَا اسْتِدْلَالِيٍّ.

❁ وَبِأَنَّهُ: **قَادِرٌ** بِقُدْرَةٍ وَاحِدَةٍ، وُجُودِيَّةٍ، قَدِيمَةٍ، بَاقِيَةٍ، ذَاتِيَّةٍ، مُتَعَلِّقَةٍ بِكُلِّ مُمْكِنٍ،

فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ فِي المَاضِي[١] وَلَا يُوجَدُ فِي المُسْتَقْبَلِ[٢] إِلَّا بِهَا.

۞ وَبِأَنَّهُ: **مُرِيدٌ** بِإِرَادَةٍ وَاحِدَةٍ وُجُودِيَّةٍ[٣]، ذَاتِيَّةٍ، قَدِيمَةٍ، بَاقِيَةٍ، مُتَعَلِّقَةٍ بِكُلِّ مُمْكِنٍ.

۞ وَبِأَنَّهُ تَعَالَى: **حَيٌّ** بِحَيَاةٍ وَاحِدَةٍ، وُجُودِيَّةٍ، قَدِيمَةٍ، ذَاتِيَّةٍ، بَاقِيَةٍ[٤].

۞ وَبِأَنَّهُ تَعَالَى: **سَمِيعٌ بَصِيرٌ**، بِسَمْعٍ وَبَصَرٍ قَدِيمَيْنِ، ذَاتِيَّيْنِ، وُجُودِيَّيْنِ، مُتَعَلِّقَيْنِ بِكُلِّ مَسْمُوعٍ ومُبْصَرٍ.

۞ وَبِأَنَّهُ تَعَالَى: **قَائِلٌ وَمُتَكَلِّمٌ** بِكَلَامٍ قَدِيمٍ، ذَاتِيٍّ، وُجُودِيٍّ، غَيْرِ مَخْلُوقٍ، وَلَا مُحْدَثٍ، وَلَا حَادِثٍ، بِلَا تَشْبِيهٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تكْيِيفٍ.

۞ فَالقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ، مُعْجِزٌ بِنَفْسِهِ لِجَمِيعِ الخَلْقِ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَا حَالٌّ فِي شَيْءٍ، وَلَا مَقْدُورٍ عَلَى بَعْضِ آيَةٍ مِنْهُ.

۞ فَمَنْ قَالَ: «القُرْآنُ مَخْلُوقٌ»، أَوْ: «مُحْدَثٌ»، أَوْ: «حَادِثٌ»، أَوْ: وَقَفَ فِيهِ شَاكًّا، أَوْ: ادَّعَى قُدْرَةَ أَحَدٍ عَلَى مِثْلِهِ كَفَرَ.

۞ وَمَنْ قَالَ: «لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ»، أَو: «القُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ»؛ فَإِن كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَيُنَاظِرُ عَلَيْهِ، فَهُوَ مَحْكُومٌ بِكُفْرِه نَصَّ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَلَى ذَلِكَ صَرِيحًا فِي مَوَاضِعَ، وَإِنْ كَانَ مُقَلِّدًا، فَهُوَ فَاسِقٌ.

---

(١) (في الماضي): زيادة من (ر) و(ت).

(٢) (في المستقبل): زيادة من (ر) و(ت).

(٣) وجودية: من (ر) و(ت).

(٤) باقية: ساقطة من (أ) و(ع) (ط).

۞ قَالَهُ شَيْخُنَا مَنْصُورٌ البُهُوتِيُّ[1] فِي: «حَاشِيَتِهِ عَلَى الْمُنْتَهَى»[2]، وَبِمَعْنَاهُ فِي: «شَرْحِهِ لِمُؤَلِّفِهِ» فِي كِتَابِ الشَّهَادَاتِ[3].

۞ وَمَنْ قَالَ: «لَفْظِي بِالقُرْآنِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ» فَهُوَ مُبْتَدِعٌ.

۞ وَبِسَنَدِنَا إِلَى أَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ عَمَّنْ يَقُولُ: «لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ»، فَقَالَ: «مَنْ قَالَهُ فَهُوَ جَهْمِيٌّ»[4].

۞ وَقَالَ جَوَابًا لِسَائِلٍ آخَرَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ: «لَا يُصَلَّى خَلْفَ قَائِلِهِ، وَلَا يُجَالَسُ وَلَا يُكَلَّمُ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ».

---

(١) هو: الشيخ منصور بن يونس البُهُوتي الحنبلي، شيخ الحنابلة بمصر، وخاتمة علمائهم، توفي ١٠٥١هـ، «السحب الوابلة» لابن حميد ٣/ ١١٣١. مؤسسة الرسالة.

(٢) قال الشيخ منصور البهوتي حاشيته: (قال المجد: الصحيح أن كل بدعة كفرنا فيها الداعية، فإنَّا نُفسق المقلد فيها، كمن يقول بخلق القرآن، أو بأن ألفاظنا به مخلوقة، أو أن علم الله به مخلوق، أو أن أسماء الله مخلوقة، أو أنه لا يرى في الآخرة، أو يسب الصحابة تدينًا، أو أن الإيمان مجرد الاعتقاد وما أشبه ذلك، فمن كان عالمًا في شيء من هذه البدع يدعو إليه، ويناظر عليه فهو محكوم بكفره، نص أحمد على ذلك صريحًا في مواضع، واختلف عنه في تكفير القدرية بنفي خلق المعاصي على روايتين، وله في الخوارج كلام يقتضي في تكفيرهم روايتين، نقل حرب: لا تجوز شهادة صاحب بدعة) وقد وردت هذه العبارة مشوهة في المطبوع عن دار خضر، ونقلتُها من نسخة خطية بخط عبد الله بن عضيب النجدي قاضي عنيزة تاريخها ١٠٩٣هـ.

(٣) «معونة أولي النهى» للفتوحي ١١/ ٤٣٦. مكتبة الأسدي.

(٤) قال الإمام ابن جرير الطبري: «فإنَّ أبا اسماعيل الترمذيَّ حدثني قال: سمعتُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: اللفظيةُ جهميَّةٌ لقول الله جل اسمه: (حتى يسمع كلام الله) فَمِمَّن يسمع؟
ثم سمعتُ جماعةً من أصحابنا ـ لا أحفظ أسماءهم ـ يذكرون عنه أنه كان يقول: من قال: (لفظي بالقرآن مخلوق) فهو جهميٌّ، ومن قال: (هو غير مخلوق) فهو مبتدع». «صريح السنة» (٣٧). مكتبة أهل الأثر، والصابوني في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (١٧١). دار العاصمة.

۞ فَالوَاجِبُ الكَفُّ عَنْ هَذِهِ العِبَارَاتِ وَمَا يُشْبِهُهَا[١]، لِكَفِّ السَّلَفِ عَنْهَا، وَلِمَا فِيهَا مِنَ الإِيهَامِ.

وَسَيَأْتِي الكَلَامُ عَلَى هَذِهِ المَسْأَلَةِ مُسْتَوْفًى فِي آخِرِ هَذَا التَّأْلِيفِ، وَنَقْلُ كَلَامِ الحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ[٢] فِي الَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ قَوْلُ الأَشْعَرِيَّةِ، وَمُوَافَقَتُهُمْ لِلْحَنَابِلَةِ فِي الاِعْتِقَادِ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.



فَصْلٌ

۞ وَيَجِبُ الجَزْمُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ بِجَوْهَرٍ، وَلَا جِسْمٍ، وَلَا عَرَضٍ.

۞ لَا تَحُلُّهُ الحَوَادِثُ، وَلَا يَحُلُّ فِي حَادِثٍ، وَلَا يَنْحَصِرُ فِيهِ.

۞ فَمَنِ اعْتَقَدَ، أَوْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ بِذَاتِهِ فِي مَكَانٍ»، أَوْ: «فِي كُلِّ مَكَانٍ» فَكَافِرٌ.

۞ بَلْ يَجِبُ الجَزْمُ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ[٣]، فَكَانَ وَلَا مَكَانَ، ثُمَّ خَلَقَ المَكَانَ، وَهُوَ الآنَ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ المَكَانِ[٤].

۞ وَلَا يُعْرَفُ[٥] بِالحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ.

۞ فَهُوَ الغَنِيُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يُشْبِهُ شَيْئًا، وَلَا

(١) في (م): اشبهها، و(ر) و(ت) و(ج): شبهها.

(٢) هو: أمير المؤمنين في الحديث وحافظ العصر أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعيّ، توفي سنة ٨٥٢هـ. «شذرات الذهب» لابن العماد ٩/ ٣٩٥. دار ابن كثير.

(٣) في (م): ليس حالاً في خلقه..

(٤) وهو الآن كما كان قبل خلق المكان: ساقطة من (أ) و(م) و(ج) و(ط).

(٥) في (م): يدرك.

يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ: مَهْمَا خَطَرَ بِالبَالِ، أَوْ تَوَهَّمَهُ الخَيَالُ، فَهُوَ بِخِلَافِ ذِي الإِكْرَامِ وَالجَلَالِ.

۞ فَيَحْرُمُ تَأْوِيلُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَعَالَى، وَتَفْسِيرُهُ كَـ: آيَةِ الِاسْتِوَاءِ[١]، وَحَدِيثِ النُّزُولِ[٢]، وَغَيرِ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ، إِلَّا بِصَادِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَهَذَا مَذْهَبُ قَاطِبَةِ السَّلَفِ.

۞ فَلَا نَقُولُ فِي التَّنْزِيهِ كَقَوْلِ المُعَطِّلَةِ، بَلْ نُثْبِتُ وَلَا نُحَرِّفُ، وَنَصِفُ وَلَا نُكَيِّفُ.

۞ وَالكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَنِ الكَلَامِ فِي الذَّاتِ.

۞ فَمَذْهَبُنَا حَقٌّ بَينَ بَاطِلَيْنِ، وَهُدًى بَيْنَ ضَلَالَيْنِ، وَهُوَ: إِثْبَاتُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ وَالأَدَوَاتِ.



(١) ورد الاستواء في سبعة مواضع في القرآن: منها قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ طه الآية ٥.

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ). البخاري ٢/ ٥٣. الطبعة السلطانية، ورواه مسلم في صحيحه عن جابر ١/ ٥٢١. دار إحياء التراث العربي.



البَابُ الثَّانِي

فِي الأَفْعَالِ

۞ كُلُّ شَيْءٍ سِوَى اللهِ وَصِفَاتِهِ حَادِثٌ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَهُ وَأَوْجَدَهُ وَابْتَدَأَهُ مِنَ العَدَمِ.

۞لَا لِعِلَّةٍ، وَلَا لِغَرَضٍ، وَلَا لِمُوجِبٍ، وَلَا يَفْعَلُ شَيْئًا عَبَثًا.

۞ وَجَمِيعُ أَفْعَالِ العِبَادِ كَسْبٌ لَهُمْ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ للهِ، خَيْرُهَا وَشَرُّهَا.

۞ وَالعَبْدُ مُخْتَارٌ مُيَسَّرٌ[1] فِي كَسْبِ الطَّاعَةِ، وَاكْتِسَابِ المَعْصِيَةِ، غَيْرُ مُكْرَهٍ، وَلَا مُجْبَرٍ.

۞ وَلَهُ تَعَالَى إِيلَامُ الخَلْقِ وَتَعْذِيبُهُمْ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ، فَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ بِخَلْقِهِ مَا يَشَاءُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهُ حَسَنٌ.

۞ وَلَهُ تَعْجِيلُ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَتَأْخِيرُهُمَا، وَالعَفْوُ عَنِ المُسْلِمِ المُذْنِبِ؛ وَإِنْ لَمْ يَتُبْ، وَعَنِ الكَافِرِ إِذَا أَسْلَمَ.

۞ وَالمَعْدُومُ مُخَاطَبٌ إِذَا وُجِدَ.

۞ وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِخَلْقِهِ شَيْءٌ، وَلَا فِعْلُ الأَصْلَحِ لَهُمْ.

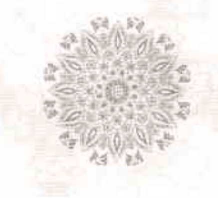
۞ وَالعَقْلُ المَرْعِيُّ تَبَعٌ لِلنَّقْلِ الشَّرْعِيِّ.

۞ وَاللهُ هُوَ الرَّزَّاقُ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ.

۞ هَدَى مَنْ شَاءَ، وَأَضَلَّ مَنْ أَرَادَ.

---

(١) في (ع) و(م) و(ج): مسير.



البَابُ الثَّالِثُ

فِي الأَحْكَامِ

۞ فَيَجِبُ امْتِثَالُ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ الجَازِمَيْنِ، وَيُسَنُّ فِي غَيرِهِمَا.

۞ وَلَا يَسْتَحِقُّ المُطِيعُ عَلَى اللهِ ثَوَابًا، وَلَا العَاصِيَ عِقَابًا.

۞ بَلْ يُثِيبُ الطَّائِعَ بِفَضْلِهِ، وَيُعَذِّبُ العَاصِيَ بِعَدْلِهِ.

۞ فَلَا نَقْطَعُ لِطَائِعٍ بِجَنَّةٍ، وَلَا لِعَاصٍ بِنَارٍ، بَلْ نَرْجُو وَنَخَافُ.



فَصْلٌ

۞ الإِسْلَامُ: الإِتْيَانُ بِالشَّهَادَتَيْنِ مَعَ اعْتِقَادِهِمَا، والتِزَامُ بَقِيَّةِ الأَرْكَانِ الخَمْسَةِ إِذَا تَعَيَّنَتْ، وَتَصْدِيقُ الرَّسُولِ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ.

۞ وَالكُفْرُ: جَحْدُ مَا لَا يَتِمُّ الإِسْلَامُ بِدُونِهِ.

۞ وَالمُسْلِمُ تَبَعًا: لِأَبَوَيْهِ، أَوْ لِسَابِيهِ، أَوْ لِلدَّارِ.

۞ يَلْزَمُهُ الإِتْيَانُ بِالشَّهَادَتَيْنِ إِذَا بَلَغَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ نَطَقَ بِهِمَا.

۞ وَلَا يُقَالُ لِلْفَاسِقِ: دَيِّنٌ، وَمُتَّقٍ، وَمُخْلِصٌ، وَوَلِيُّ اللهِ.

۞ وَالإِيمَانُ: عَقْدٌ بِالجَنَانِ، وَقَولٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ.

۞ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ هُوَ وَثَوَابُهُ بِالعِصْيَانِ.

۞ وَيَقْوَى بِالعِلْمِ، وَيَضْعُفُ بِالجَهْلِ وَالغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ.

❁ وَقَوْلُ: «إِنْ شَاءَ اللهُ» فِيهِ سُنَّةٌ ـ كَمَا قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ[1] ـ لَا عَلَى الشَّكِ فِي الحَالِ، بَلْ فِي المَآل، أَوْ فِي قَبُولِ بَعْضِ الأَعْمَالِ، أَوْ لِخَوْفِ التَّقْصِيرِ، أَوْ كَرَاهَةِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ.



فَصْلٌ

❁ وَاللهُ تَعَالَى مُقَدِّرُ الخَيْرِ وَالشَّرِ.

❁ وَكُلُّ مَا عَلِمَهُ أَوْ قَضَاهُ، أَوْ حَكَمَ بِهِ، أَوْ أَخْبَرَ بِهِ، لَا تُتَصَوَّرُ مُخَالَفَتُهُ، وَلَا الخُلْفُ[2] فِيهِ، فَلَا يَتَعَدَّى شَيْءٌ أَجَلَهُ.

❁ وَالمَحْرُوقُ[3]، وَالمَقْتُولُ، وَالغَرِيقُ، وَأَكِيلُ الوَحْشِ، وَالمَيِّتُ بِهَدْمٍ، وَنَحْوُهُمْ: أَمْوَاتٌ بِآجَالِهِمْ، كَمَنْ يَمُوتُ حَتْفَ أَنْفِهِ.

❁ وَيَجِبُ بِوَعِيدِ اللهِ تَخْلِيدُ الكَافِرِ فِي النَّارِ، وَبِوَعْدِهِ إِخْرَاجُ غَيْرِهِ مِنْهَا، بِشَفَاعَةٍ أَوْ غَيْرِهَا.

❁ وَتَحْبَطُ المَعَاصِي بِالتَّوْبَةِ لِلْخَبَرِ، وَالكُفْرُ بِالإِسْلَامِ، وَالطَّاعَاتُ بِالرِّدَّةِ المتَّصِلَةِ بِالمَوْتِ.



---

(١) هو: العلامة أبو الوفاء علي بن عقيل بن البغدادي الظفري الحنبلي الفقيه الأصولي الواعظ المتكلم، توفي في ٥١٣هـ «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ١/ ٣١٦. مكتبة العبيكان.

(٢) في (ت): يخلف، وأشار في الهامش إلى أنه في نسخة: الخلف.

(٣) في (أ) و(ط): المحترق، و(م) و(ج): المحرق.

فَصْلٌ

❁ التَّوْبَةُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَاجِبَةٌ عَلَى المُكَلَّفِ فَوْرًا.

❁ وَلَا تُقْبَلُ ظَاهِرًا مِنْ داعيةٍ إِلَى بِدْعَتِهِ، وَلَا مِنْ سَاحِرٍ، وَزِنْدِيقٍ، وَلَا مِمَّنْ تَكَرَّرَتْ رِدَّتُهُ، أَوْ سَبَّ اللهَ، أَوْ رَسُولًا، أَوْ مَلَكًا لَهُ.

❁ وَتُقْبَلُ تَوبَةُ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ أَوْ بَعْضَهُمْ، وَإِنْ كَفَرَ بِذَلِكَ، كَمَنْ قَذَفَ عَائِشَةَ، أَوْ غَيْرَهَا مِنْ زَوْجَاتِهِ ﷺ، وَكَمَنِ ادَّعَى أُلُوهِيَّةَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَوْ نُبُوَّتَهُ، أَوْ غَلَّطَ جِبْرِيلَ.

❁ وَقَبُولُهَا تَفَضُّلٌ مِنْهُ تَعَالَى.

❁ وَالحُدُودُ لَيْسَتْ بِتَوْبَةٍ وَلَا كَفَّارَةٍ، فِي حَقِّ المُصِرِّ.

❁ وَتُقْبَلُ مَا لَمْ يُعَايِنْ مَلَكَ المَوْتِ[١].

❁ فَائِدَةٌ: الأَرْوَاحُ مَخْلُوقَةٌ للهِ، وَيَكفُرُ القَائِلُ بِقِدَمِهَا.



فَصْلٌ

❁ وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ.

❁ وَأَنَّ اللهَ قَضَى المَعَاصِيَ وَالمَكْرُوهَ، وَقَدَّرَ ذَلِكَ، وَكَتَبَهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِهِ، بَلْ نَهَاهُمْ عَنِ الرِّضَا بِذَلِكَ.

❁ وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِالرَّقِيبِ وَالعَتِيدِ.

---

(١) زاد المؤلف في المختصر بعدها: (أو ما لم يُغَرْغِرْ ما دام عقله ثابتًا إذ هو مناط التكلف).



البَابُ الرَّابِعُ
فِي بَقِيَّةِ السَّمْعِيَّاتِ

۞ وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِالسَّاعَةِ.

۞ وَأَشْرَاطِهَا مِنَ: الدَّجَّالِ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَنُزُولِ عِيسَى وَنَحْوِ ذَلِكَ.

۞ وَبِالصَّعْقَةِ، وَالحَشْرِ، وَالنَّشْرِ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ.

۞ وَبِإِحْيَاءِ المَيِّتِ فِي قَبْرِهِ، وَضَغْطَتِهِ فِيهِ، وَرَدِّ رُوحِهِ إِلَيْهِ، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَثَوَابِ المَيِّتِ وَعِقَابِهِ لِلرُّوحِ وَالجَسَدِ، وَبِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْلَمُ مَصِيرَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ.

۞ وَأَنَّ المِيزَانَ، وَالمَعَادَ الجُسْمَانِيَّ[1] حَقٌّ بَعْدَ الإِعْدَامِ مِمَّنْ يُعْدَمُ.

۞ وَيُحَاسَبُ المُسْلِمُونَ المُكَلَّفُونَ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يُدخِلَهُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالكُفَّارُ لَا يُحَاسَبُونَ، فَلَا تُوزَنُ صَحَائِفُهُمْ.

۞ وَإِن فَعَلَ كَافِرٌ قُرْبَةً مِنْ نَحْوِ: صَدَقَةٍ، أَوْ عِتْقٍ، أَوْ ظُلِمَ، رَجَوْنَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ مِنَ العَذَابِ.

۞ وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، وَهُوَ: جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى جَهَنَّمَ، دَحْضٌ[2] مَزَلَّةٌ[3]، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ[4]، وَأَنَّ المُرُورَ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الأَعْمَالِ.

---

(١) في (م): الجثماني.

(٢) مكان دَحْضٌ: زَلِقٌ. «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» الجوهري، ٣/ ١٠٧٥. دار العلم للملايين.

(٣) المَزَلَّةُ: موضع الزلل. «المرجع السابق» ٤/ ١٧١٧.

(٤) جمع خطاف، وهو الحديدة المعوجة كالكلُّوب يختطف بها الشي. «النهاية في غريب الحديث =

۞ وَأَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَهُمَا[1] مَخْلُوقَتَانِ الآنَ، خُلِقَتَا لِلْبَقَاءِ.

۞ وَبِأَنَّ المَقَامَ المَحْمُودَ، وَالحَوْضَ المَوْرُودَ حَقٌّ.



= والأثر» لابن الأثير ٢/ ٤٩. دار الكتب العلمية.

(١) في (ط) بعدها: وما فيهما.



البَابُ الخَامِسُ
فِي النُّبُوَّةِ

۞ وَالأَنْبِيَاءُ مُتَفَاوِتُونَ فِي الفَضِيلَةِ.

۞ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ رَسُولُ حَقٍّ إِلَى الإِنْسِ وَالجِنِّ كَافَّةً.

۞ وَهُوَ: خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَأَفْضَلُهُمْ.

۞ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ البَعْثَةِ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، بَلْ وُلِدَ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا.

۞ وَأَنَّ المُعْجِزَةَ القَاطِعَةَ المُعْتَبَرَةَ لِصِدْقِهِ وُجِدَتْ دَالَّةً عَلَى نُبُوَّتِهِ، مُقْتَرِنَةً بِدَعْوَتِهِ.

۞ وَهِيَ: مَا خَرَقَ العَادَةَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، إِذَا وَافَقَ دَعْوَى الرِّسَالَةِ وَقَارَنَهَا، وَطَابَقَهَا عَلَى وَجْهِ التَّحَدِّي، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَيْهَا.

۞ وَلَا يَجُوزُ ظُهُورُهَا عَلَى يَدِ كَاذِبٍ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ.

۞ وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَخْشَى اللهَ تَعَالَى، وَأَنَّهُ مَعْصُومٌ فِيمَا يُؤَدِّي عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَهَكَذَا مِنْ كُلِّ كَذِبٍ(١)، وَكَذَا سَائِرُ الأَنْبِيَاءِ.



---

(١) في غالب النسخ وكتاب «قلائد العقيان»: (كل ذنب)، والمثبت من (م) و(ج)، وهو الصحيح، انظر: «لوامع الأنوار» للسفاريني ٢/ ٣٠٦. مؤسسة الخافقين.

فَصْلٌ

۞ وَكَرَامَاتُ الأَوْلِيَاءِ حَقٌّ(١)، وَهِيَ: خَرْقُ العَادَةِ، لَا عَلَى وَجْهِ الاسْتِدْعَاءِ لَهَا، وَالتَّحَدِّي بِهَا.

۞ وَالأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ مِنْهُمْ، وَمِنَ المَلَائِكَةِ.



فَصْلٌ

۞ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَى الجَمَاعَةِ.

۞ وَفَرْضُ عَيْنٍ عَلَى الوَاحِدِ.

۞ وَيَجِبُ عَلَى مَنْ عَلِمَهُ وَتَحَقَّقَهُ، وَهُوَ عَارِفٌ بِمَا يُنْكِرُهُ، وَلَمْ يَخَفْ أَذًى فِي نَفْسِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، وَلَا فِتْنَةً تَزِيدُ عَلَى المُنْكَرِ، وَلَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ.

۞ وَعَلَى النَّاسِ إِعَانَةُ المُنْكِرِ، وَنَصْرُهُ مَعَ القُدْرَةِ.

۞ وَلَا يُنْكِرُ بِسَيْفٍ، وَلَا عَصًا، إِلَّا مَعَ سُلْطَانٍ.

۞ وَالمَعْرُوفُ: كُلُّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ حَسَنٍ شَرْعًا.

۞ وَالمُنْكَرُ: كُلُّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ وَقَصْدٍ قَبِيحٍ شَرْعًا.

۞ وَالإِنْكَارُ فِي تَرْكِ الوَاجِبِ وَفِعْلِ الحَرَامِ وَاجِبٌ، وَفِي تَرْكِ المَنْدُوبِ، وَعَدَمِ تَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَفِي فِعْلِ المَكْرُوهِ، وَتَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ مَنْدُوبٌ.



(١) زاد المؤلف في المختصر بعدها: (في حياتهم ومماتهم).

فَائِدَةٌ

۞ وَكُلُّ مَا يُؤْمَرُ بِهِ وَيُنْهَى عَنْهُ:

۞ إِمَّا حَقُّ اللهِ تَعَالَى: كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالحَثِّ عَلَى الطَّاعَةِ وَتَرْكِ المَعْصِيَةِ.

۞ أَوْ لِآدَمِيٍّ: كَوَفَاءِ الدَّينِ وَالعَدْلِ.

۞ أَوْ لَهُمَا: كَالزَّكَاةِ وَالكَفَّارَةِ[١]، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

۞ وَالأَبُ وَغَيْرُهُ فِي الإِنْكَارِ عَلَيْهِ سَوَاءٌ.



تَنْبِيهٌ

۞ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الآمِرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ المُنْكَرِ: مُتَوَاضِعًا رَفِيقًا فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ، ذَا رَأْيٍ، وَمُرَاقَبَةٍ، وَشِدَّةٍ فِي الدِّينِ، قَاصِدًا بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ، وَإِقَامَةَ دِينِهِ، وَنُصْرَةَ شَرْعِهِ، وَامْتِثَالَ أَمْرِهِ، وَإِحْيَاءَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ بِلَا رِيَاءٍ، وَلَا مُنَافَقَةٍ، وَلَا مُدَاهَنَةٍ، غَيْرَ مُنَافِسٍ، وَلَا مُفَاخِرٍ، وَلَا مِمَّا يُخَالِفُ قَوْلُهُ فِعْلَهُ.

۞ وَيَبْدَأُ فِي إِنْكَارِهِ بِالأَسْهَلِ فَالأَسْهَلِ، فَإِنْ زَالَ وَإِلَّا زَادَ، فَإِنْ لَمْ يَزُلْ رَفَعَهُ إِلَى سُلْطَانٍ عَادِلٍ لَا يَأْخُذُ مَالًا، وَلَا يَفْعَلُ غَيْرَ مَا يَجِبُ.

۞ وَيُنْكِرُ عَلَى السُّلْطَانِ، بِالوَعْظِ وَالتَّخْوِيفِ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى.

۞ وَسُنَّ هِجْرَانُ العُصَاةِ المُتَجَاهِرِينَ، وَيَجِبُ الإِغْضَاءُ[٢] عَنِ المُسْتَتِرِينَ.

---

(١) زاد المؤلف في المختصر بعدها: (والنهي عن المعصية والظلم).

(٢) يقال أغضى على الشيء: سكت. «المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده ٦/ ٣٣. دار الكتب العلمية.

وَيَجِبُ هِجْرَانُ الْمُبْتَدِعِينَ الدَّاعِينَ إِلَى الضَّلَالَةِ، عَلَى مَنْ عَجَزَ عَنْ إِصْلَاحِهِمْ وَالإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ.



فَائِدَةٌ

يَجِبُ عَلَى القَادِرِ الدَّفْعُ عَنْ نَفْسِهِ، وَحُرْمَتِهِ.

وَيَجُوزُ عَنْ مَالِهِ.

وَيَلْزَمُ عَنْ أَخِيهِ المُسْلِمِ، وَمَالِهِ، وَحُرْمَتِهِ إِنْ أَمْكَنَهُ.

وَيَسْقُطُ إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يُفِيدُ.

وَعَلَيْهِ إِنْجَاؤُهُ مِنْ غَرَقٍ، وَحَرِيقٍ، وَنَحْوِهِمَا، كَمَا يَجِبُ أَنْ يُنْجِيهِ مِنَ المَجَاعَةِ، وَالظَّمَاءِ، مَعَ القُدْرَةِ.



الخَاتِمَةُ

مَنْ كَفَّرَ مَنْ لَيْسَ بِكَافِرٍ، مُعْتَقِدًا كُفْرَهُ، كَفَرَ.

وَمَنْ فَسَّقَ مَنْ لَيْسَ بِفَاسِقٍ، مُعْتَقِدًا فِسْقَهُ، فَسَقَ[1].

وَيَحْرُمُ لَعْنُ كَافِرٍ مُعَيَّنٍ.



(١) زاد المؤلف في المختصر بعدها: (وكذا من قال بصلاح فاسق).

فَصْلٌ

۞ وَالقَدِيمُ: مَا لَا أَوَّلَ لِوُجُودِهِ، وَلَمْ يَسْبِقْهُ عَدَمٌ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ: المُتَقَدِّمُ، وَإِنْ سَبَقَهُ العَدَمُ.

۞ وَالعَالَمُ: كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ.

۞ وَالمُسْتَحِيلُ لِذَاتِهِ: غَيْرُ مُمْكِنٍ، وَلَا مَقْدُورٍ، وَإِلَّا صَارَ مُمْكِنًا.

۞ وَالجَائِزُ: مَا جَازَ اجْتِمَاعُهُ وَافْتِرَاقُهُ، وَهُوَ شَرْعًا: مَا أَذِنَ فِيهِ الشَّرْعُ.

۞ وَالدَّوْرُ: تَوَقُّفُ كَلٍّ مِنْ شَيْئَيْنِ عَلَى الآخَرِ.

۞ وَالتَّسَلْسُلُ: تَرَتُّبُ أُمُورٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ.



التَّتِمَّةُ

۞ أَسْلَمُ الطُّرُقِ التَّسْلِيمُ، فَمَا سَلِمَ دِينُ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ للهِ وَلِرَسُولِهِ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ إِلَى عَالِمِهِ.

۞ وَمَنْ أَرَادَ عِلْمَ مَا يمْتَنِعُ عِلْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي المَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الإِيمَانِ، فَيَتَرَدَّدُ بَيْنَ الإِقْرَارِ وَالإِنْكَارِ، شَاكًّا زَائِغًا مُتُحَيِّرًا، لَا مُؤْمِنًا صَادِقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا، وَلَا مُوقِنًا مُحَقِّقًا.

۞ وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ ضَلَّ.

۞ وَالتَّعَمُّقُ فِي الفِكْرِ[١] ذَرِيعَةُ الخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ،

---

(١) في المختصر: (التعمق في الدين).

وَمَـادَّةُ التَّوَهَـانِ وَالوَلَهَـانِ، فَإِنَّـهُ يَفْتَحُ(١) بَـابَ الحَيْرَةِ غَالِبًـا، وَقَلَّ أَنْ يَكُـونَ مُلَازِمُهُ إِلَّا خَائِبًا.

❁ وَالأَمْنُ وَاليَأْسُ يَنْقُلَانِ عَنِ المِلَّةِ.

❁ وَسَـبِيلُ الحَـقِّ بَيْنَهُمَـا لِأَهْـلِ القِبْلَـةِ، فَإِنَّهُ بَيْـنَ الغُلُـوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَالتَّشْـبِيهِ وَالتَّعْطِيـلِ، وَبَيْـنَ الجَبْـرِ وَالقَدَرِ.

❁ فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالآثَارِ، دُونَ الافْتِكَارِ وَالابْتِكَارِ.

❁ فَإِنَّ قَلِيلَ ذَلِكَ مَعَ الفِطْنَةِ كَثِيرٌ، وَالمُمْعِنُ فِي التَّعَمُّقِ مَذْمُومٌ، وَالحَرِيصُ عَلَى التَّوَغُّلِ فِي اللَّهْوِ مَحْرُومٌ، وَالإِسْرَافُ فِي الجِدَالِ يُوجِبُ عَدَاوَةَ الرِّجَالِ، وَيَنْشُرُ الفِتَنَ، وَيُوَلِّدُ الإِحَنَ(٢)، وَيُقَلِّلُ الهَيْبَةَ، وَيُكْثِرُ الخَيْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَا تَفْهَمُهُ الأَفْهَامُ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الأَوْهَامُ.

❁ فَعَلَيْكَ بِطَلَبِ الحَقِّ وَالصِّدْقِ، وَالتَّوَقُّفِ مَعَهُمَا، وَتَرْكِ التَّغَيُّرِ عَنْهُمَا، وَاجْتَهِدْ فِي عَدَمِ الدُّخُولِ فِيمَا لَا يَلْزَمُكَ، فَإِنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ هَمُّكَ وَنَدَمُكَ.

❁ فَاسْتَنْصِحْ يَا أَخِي فِيمَا قَرَّبْتُ إِلَيْكَ، وَبَذَلْتُ جَهْدِي فِي نُصْحِي شَفَقَةً عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ أَصْوَبُ وَأَثْوَبُ، وَأَسْلَمُ وَأَقْوَمُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

هَذَا آخِرُ المَقْصَدِ الأَوَّلِ وَلِنُقَدِّمْ عَلَى المَقْصَدِ الثَّانِي مُقَدِّمَةً



---

(١) بعدها في (ط): عليك.

(٢) في (م): يورث الحسد، وفي(ر) و(ت): المحن. و(الإِحَن): جمع إحنة وهي الحقد، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» الجوهري، ٥/ ٢٠٦٨. دار العلم للملايين.

مُقَدِّمَةٌ

۞ وَهِيَ أَنَّ طَوَائِفَ أَهْلِ السُّنَّةِ ثَلَاثَةٌ: **حَنَابِلَةٌ، وَأَشَاعِرَةٌ، وَمَاتُرِيدِيَّةٌ**(١) بِدَلِيلِ عَطْفِ العُلَمَاءِ: الحَنَابِلَةَ عَلَى الأَشَاعِرَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الكُتُبِ الكَلَامِيَّةِ، وَجَمِيعِ كُتُبِ الحَنَابِلَةِ، وَالعَطْفُ يَقْتَضِي المُغَايَرَةَ، وَكَيْفَ يَصِحُّ إِدْخَالُ الحَنَابِلَةِ فِي الأَشَاعِرَةِ؟ مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ السُّبْكِيُّ(٢) فِي «طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ»(٣)، أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا الحَسَنِ الأَشْعَرِيَّ

(١) قال الشيخ عبد الله القدومي الحنبلي ت ١٣٣١هـ في «المنهج الأحمد»: «فإنْ قُلْتَ: إنَّ لفظَ الحديثِ يُنَافِي التَّعدُّدَ؛ لأنه لا يَصْدُقُ إلَّا على فرقةٍ واحدةٍ، والمذكورون ثلاثُ فرقٍ؟ قُلْتُ: لا منافاةَ؛ لأن أهلَ الحديثِ والأشعريةَ والماتريديةَ فرقةٌ واحدةٌ، مُتَّفِقُونَ في أصولِ الدين على التوحيدِ، وتقديرِ الخيرِ والشرِ، وفي شروطِ النبوةِ والرسالةِ، وفي موالاةِ الصحابةِ كُلِّهِمْ، وما جَرى مجرى ذلكَ: كعدمِ وجوبِ الصلاحِ والأصلحِ، وفي إثباتِ الكسبِ، وإثباتِ الشفاعةِ، وخروجِ عُصَاةِ الموحدينَ من النَّارِ، والخُلْفُ بينهم في مسائِلَ قليلةٍ: كتأويلِ آياتِ الصِفاتِ وأحاديثِها، هل هو جائزٌ؟ أو ممتنعٌ؟ ومن قالَ بجوازِهِ من الخَلَفِ فإنَّهُ يَرى الفضلَ لمذهبِ أهلِ التفويضِ مع التنزيهِ؛ لسلامتِهِ، وكذلكَ الخُلْفُ في: صفاتِ الأفعالِ ونحوها، نزرٌ يسيرٌ لا يُوجبُ تكفيرَ بعضِهِم لِبعضٍ، ولا تَضْليلَهُ».
قال الشيخ عبد الغني اللَّبدي الحنبلي ١٣١٩هـ ـ المدرس بالحرم المكي ـ في تعليقاته على «المنهج الأحمد»: «هذا البحثُ جديرٌ بالتنويهِ، وما أجابَ بِهِ سديدٌ وجيهٌ يجبُ المصيرُ إليه وخلافُهُ لا يعوَّلُ عليه وإن جزمَ به المحققُ السفاريني في منظومتِهِ فقالَ:

وَلَيْسَ هَذَا النَّصُّ جَزْمًا يُعْتَبَرْ ... فِي فِرْقَةٍ إِلَّا عَلَى «أَهْلِ الأَثَرْ»

وكلامُ المؤلِفِ أصوبُ وإلى الحقِ أدنى وأقرب والله سبحانه وتعالى أعلم». (٤٤). دار الرياحين.

(٢) هو: تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي نسبة إلى سُبك من قرى محافظة المنوفية بمصر. فقيه شافعي أصولي، كان عالمًا فاضلًا، مات شَهِيدًا بالطاعون سنة ٧٧١هـ. «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ٣/ ١٠٤. دار عالم الكتب.

(٣) «طبقات الشافعية» للسبكي ٣/ ٣٤٧. دار هجر.

وُلِدَ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، بَعْدَ وَفَاةِ الإِمَامِ أَحْمَدَ بِعِشْرِينَ سَنَةً، فَكَيْفَ يَصِحُّ نِسْبَةُ الحَنَابِلَةِ إِلَى اعْتِقَادِهِ؟! مَعَ أَنَّهُمْ مُنْذُ زَمَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، لَمْ يَزَالُوا عَلَى مُعْتَقَدِ إِمَامِهِم، الَّذِي هُوَ مُعْتَقَدُ السَّلَفِ، كَبَقِيَّةِ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ مِنْ حَيْثُ تَسْلِيمِ آيَاتِ الصِّفَاتِ، وَعَدَمِ تَأْوِيلِهَا، أَلَا تَرَى إِلَى جَوَابِ الإِمَامِ مَالِكٍ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الِاسْتِوَاءِ. وَيَأْتِي قَرِيبًا.



المَقْصَدُ الثَّانِي
فِي مَسَائِلَ وَقَعَ فِيهَا الخِلَافُ بَيْنَ الحَنَابِلَةِ وَالأَشَاعِرَةِ

۞ مِنْهَا: أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ.

۞ فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، جَوَابًا فِي الِاسْتِوَاءِ[(١)].

۞ كَمَا اشْتَهَرَ جَوابُ أَبِي عَلِيٍّ الحُسَيْنِ بْنِ الفَضْلِ البَجَلِيِّ[(٢)] عَنِ الِاسْتِوَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّا لَا نَعْرِفُ مِنْ أَنْبَاءَ الغَيْبِ إِلَّا مِقْدَارَ مَا كُشِفَ لَنَا، وَقَدْ عَلَّمَنَا جَلَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا[(٣)] كَيْفَ اسْتَوَى».

۞ وَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مُفْتَقِرٌ لِلْعَرْشِ، أَوْ لِغَيْرِهِ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، أَوْ أَنَّ اسْتِوَاءَهُ عَلَى العَرْشِ، كَاسْتِوَاءِ المَخْلُوقِ عَلَى كُرْسِيِّهِ، فَهُوَ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ، فَكَانَ اللهُ وَلَا زَمَانَ وَلَا مَكَانَ، وَهُوَ الآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ.

۞ وَمِنْهَا: نُزُولُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ بِنُزُولِ المَخْلُوقِينَ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، بَلِ الحَنَابِلَةُ يُثْبِتُونَ مَا أَثْبَتَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَيُمِرُّونَ الخَبَرَ الصَّحِيحَ الوَارِدَ بِذِكْرِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَيَكِلُونَ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

۞ وَكَذَلِكَ مَا أَنْزَلَ اللهُ جَلَّ اسْمُهُ فِي كِتَابِهِ، مِنْ ذِكْرِ المَجِيءِ وَالإِتْيَانِ، المَذْكُورَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَجَاءَ رَبُّكَ) الآيَةَ، وَفِي قَوْلِهِ: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ) الآيَةَ.

---

(١) عن أُمِّ سلمةَ في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] قالت: «الكَيفُ غَيرُ معقولٍ، والاستِوَاءُ غَيرُ مجهولٍ، والإقرارُ بِهِ إيمانٌ، والجحودُ بِهِ كفرٌ». «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي ٣/ ٤٤٠. دار طيبة.

(٢) هو: الحسين بن الفضل بن عمير أبو علي البجلي العلامة، المفسر، الإمام، اللغوي، المحدث، توفي سنة ٢٨٢هـ. «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٤١٤. مؤسسة الرسالة.

(٣) في (ر) و(ت): ولم يخبر.

۞ وَنُؤْمِنُ بِذَلِكَ بِلَا كَيْفٍ، فَلَوْ شَاءَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَنَا كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ فَعَلَ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَا أَحْكَمَهُ، وَكَفَفْنَا عَنِ الَّذِي يَتَشَابَهُ.

۞ وَقَالَ مَالِكٌ: «إِيَّاكُمْ وَالبِدَعَ»، قِيلَ: «وَمَا البِدَعُ؟». قَالَ: «أَهْلُ البِدَعِ: الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، لَا يَسْكُتُونَ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ».

۞ وَفِي صُحُفِ إِدْرِيسَ: «لَا تَرُومُوا أَنْ تُحِيطُوا بِاللهِ خِبْرَةً، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ وأَعْلَى أَنْ تُدْرِكَهُ فِطَنُ المَخْلُوقِينَ».

۞ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: «لَأَنْ يَلْقَى اللهَ العَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشِّرْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَهْوَاءِ».

۞ وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ لِرَجُلٍ سَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الأَهْوَاءِ، فَقَالَ: «الزَمْ دِينَ الصِّبْيَانِ فِي الكُتَّابِ، وَالأَعْرَابِ، وَالْهَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ».

۞ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ(١): «كُلُّ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، فَتَفْسِيرُهُ تِلَاوَتُهُ وَالسُّكُوتُ عَنْهُ».

۞ وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «قَدَمُ الإِسْلَامِ لَا يَثْبُتُ إِلَّا عَلَى قَنْطَرَةِ التَّسْلِيمِ».

۞ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رضي الله عنه: «آمَنْتُ بِاللهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ، وَعَلَى مُرَادِ اللهِ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعَلَى مُرَادِ

---

(١) هو: الإمام الحافظ الفقيه سفيان بن عيينة بن أبي عمران، ميمون، الهلالي، أبو محمد الكوفي، ثم المكي، توفي سنة ١٩٨هـ. «سير أعلام النبلاء» ٨/ ٤٥٤. مؤسسة الرسالة.

رَسُولِ اللهِ ﷺ»، نَقَلَهُ عَنْهُ الإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ اللَّبُّودِيُّ[(١)] الحَنْبَلِيُّ[(٢)] فِي كِتَابِهِ: «**اللُّمَع فِي السُّنَنِ وَالبِدَعِ**» وَقَالَ بَعْدَهُ: «وَعَلَى هَذَا دَرَجَ السَّلَفُ وَأَئِمَّةُ الخَلَفِ».

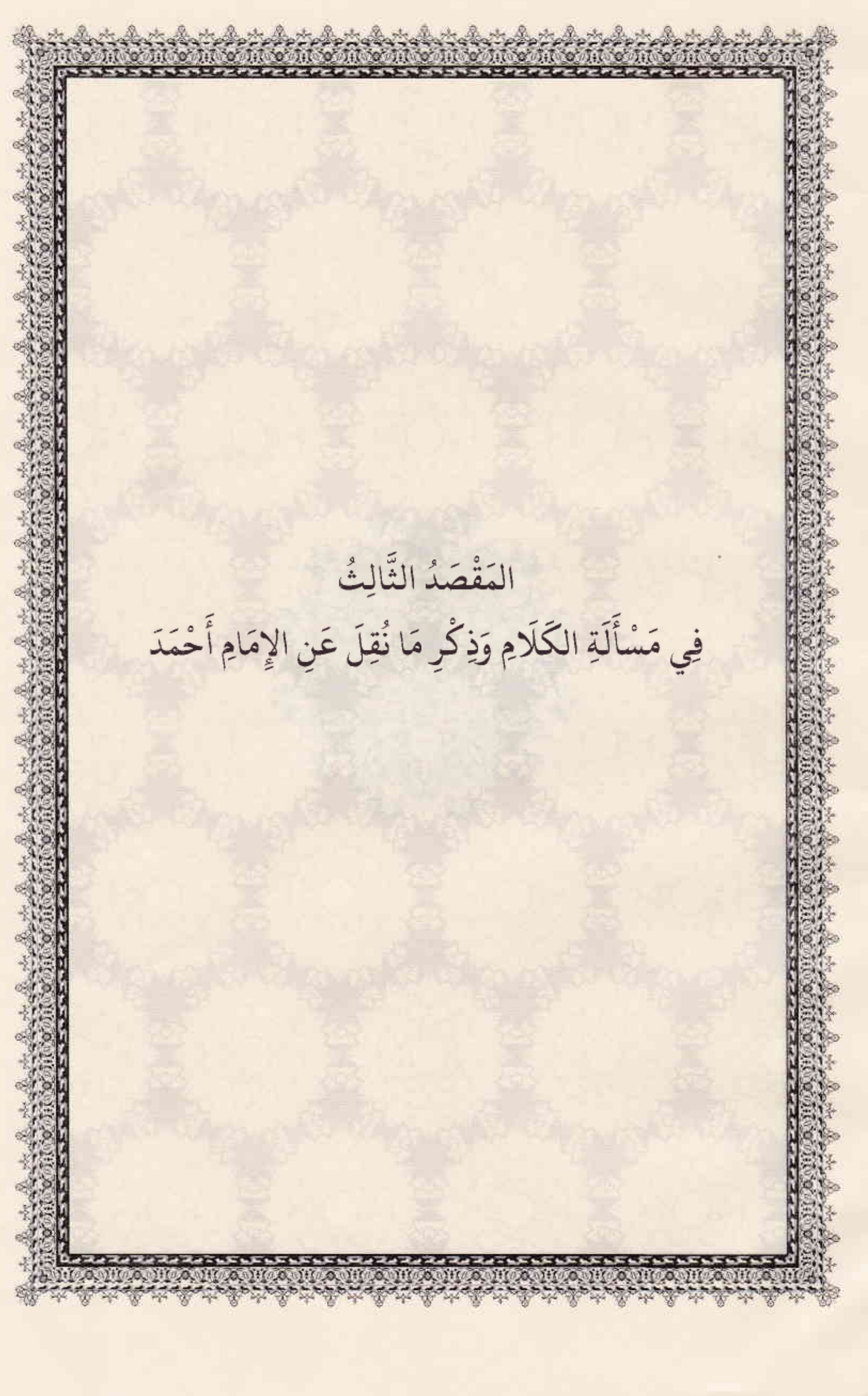
وَسَيَأْتِي فِي التَّتِمَّةِ الخَامِسَةِ، ذِكْرُ كَلَامِ الشَّيْخِ الأَشْعَرِيِّ، وَأَنَّهُ مُوَافِقٌ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي الِاعْتِقَادِ، وَأَنَّهُ يُجْرِي المُتَشَابِهَاتِ عَلَى مَا قَالَ اللهُ مِنْ غَيْرِ تَصَرُّفٍ وَلَا تَأْوِيلٍ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ، وَعَلَيْهِ، فَلَا خِلَافَ وَلَا نِزَاعَ، وَللهِ الحَمْدُ.



---

(١) في (ر) و(ج): اللبوذي، و(ت): البوني، و(ع): البودي، و(ط): البوري.

(٢) نقل كلامه أيضًا الشيخ عبد الغني النابلسي ت ١١٤٣هـ في كتابه: «ديوان الحقائق ومجموع الرقائق» (١٠). دار الكتب العلمية، ولعله نقله عن هذا الكتاب ولكنه يفيد في تحقيق اسمه، ولم أقف على ترجمته إلا أن يكون الشيخ المحدث علي بن موسى اللبودي ترجم له في ابن المبرد في «الجوهر المنضد» (٨٧). مكتبة العبيكان، وذكر أنه لم يطلع على وقت وفاته.



المَقْصَدُ الثَّالِثُ

فِي مَسْأَلَةِ الكَلَامِ وَذِكْرِ مَا نُقِلَ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ

۞ فَنَقُولُ: القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، نَزَّلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، مُعْجِزٌ بِنَفْسِهِ، مُتَعَبَّدٌ بِتِلَاوَتِهِ.

۞ وَالكَلَامُ حَقِيقَةً: الأَصْوَاتُ وَالحُرُوفُ، وَإِنْ سُمِّيَ بِهِ المَعْنَى النَّفْسِيُّ، وَهُوَ: نِسْبَةٌ بَيْنَ مُفْرَدَيْنِ قَائِمَةٌ بِالمُتَكَلِّمِ فَمَجَازٌ.

۞وَالكِتَابَةُ: كَلَامٌ حَقِيقَةً.

۞ فَلَمْ يَزَلِ اللهُ مُتَكَلِّمًا كَيْفَ شَاءَ، وَإِذَا شَاءَ، بِلَا كَيْفٍ، يَأْمُرُ بِمَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيد(١).

۞ هَذَا مَذْهَبُ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَأَصْحَابِهِ، وَمَذْهَبُ إِمَامِ الحَدِيثِ بِلَا شَكٍّ، مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ وَجُمْهُورُ العُلَمَاءِ قَالَهُ ابْنُ مُفْلِحٍ(٢) فِي: «أُصُولِهِ»، وَابْنُ قَاضِي الجَبَلِ(٣).

۞ قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ: «المَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ، وَهُوَ قَوْلُ جَمَاهِيرِ فِرَقِ الْأُمَّةِ»(٤).

۞ فَقَوْلُنَا: «مُعْجِزٌ بِنَفْسِهِ»، أَيْ: مُرَادٌ بِهِ الإِعْجَازُ، كَمَا أَنَّهُ مَقْصُودٌ بِهِ بَيَانُ الأَحْكَامِ، وَالمَوَاعِظِ، وَقَصُّ أَخْبَارِ مَنْ قُصَّ فِي القُرْآنِ مِنَ الأُمَمِ، دَلِيلُ التَّحَدِّي:

(١) بما يريد: من (م) و(ج).

(٢) هو: الإمام إبراهيم بن محمد بن مفلح الصالحي قاضي الحنابلة بدمشق، توفي في شعبان سنة ٨٠٣هـ. «المقصد الأرشد في كر أصحاب الإمام أحمد» لابن مفلح ١/ ٢٣٧. مكتبة الرشد.

(٣) هو: أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي قاضي الحنابلة بدمشق ويقال له أيضًا ابن قاضي الجبل. توفي سنة ٧٧١هـ. «المقصد الأرشد في كر أصحاب الإمام أحمد» لابن مفلح ١/ ٩٢. مكتبة الرشد.

(٤) «مجموع فتاوى ابن تيمية» ١٢/ ٢٤٣. مجمع الملك فهد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)، أَي: فَأْتُوا بِمِثْلِهِ إِنِ ادَّعَيْتُمُ القُدْرَةَ، فَلَمَّا عَجَزُوا تَحَدَّاهُمْ بِعَشْرِ سُوَرٍ، ثُمَّ بِسُورَةٍ، ثُمَّ بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ.

۞ **وَقَوْلُنَا**: «مُتَعَبَّدٌ بِتِلَاوَتِهِ»، لِتَخْرُجَ الآيَاتُ المَنْسُوخَةُ اللَّفْظِ، سَوَاءٌ بَقِيَ حُكْمُهَا أَمْ لَا؛ لِأَنَّهَا صَارَتْ بَعْدَ النَّسْخِ غَيْرَ قُرْآنٍ، لِسُقُوطِ التَّعَبُّدِ بِتِلَاوَتِهَا.

۞ **وَقَوْلُنَا**: «وَالكِتَابَةُ كَلَامٌ حَقِيقَةً»، لِقَوْلِ عَائِشَةَ: (مَا بَيْنَ دَفَّتَيِ المُصْحَفِ كَلَامُ اللهِ)؛ وَلِأَنَّ مَنْ كَتَبَ صَرِيحَ الطَّلَاقِ يَقَعُ عَلَيْهِ الطَّلَاقُ بِذَلِكَ، وَلَوْ لَمْ يَنْوِهِ عَلَى الصَّحِيحِ.

۞ **وَقَوْلُنَا**: «وَلَمْ يَزَلِ اللهُ مُتَكَلِّمًا كَيْفَ شَاءَ، وَإِذَا شَاءَ، بِلَا كَيْفٍ، يَأْمُرُ بِمَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيد[1]»، فَقَدْ قَالَ الأَئِمَّةُ: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ لَمْ يَزِلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ، فَإِنَّ الكَلَامَ صِفَةُ كَمَالٍ، وَمَنْ يَتَكَلَّمُ أَكْمَلُ مِمَّنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ، وَمَنْ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، أَكْمَلُ مِمَّنْ يَكُونُ الكَلَامُ مُمْكِنًا لَهُ.

۞ **وَقَالَ قَوْمٌ**: «لَا يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، بَلْ كَلَامُهُ لَازِمٌ لِذَاتِهِ كَحَيَاتِهِ»، ثُمَّ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ عَرَفَ: «أَنَّ الحُرُوفَ وَالأَصْوَاتَ لَا تَكُونُ إِلَّا مُتَعَاقِبَةً، وَالصَّوْتُ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ قَدِيمًا».

۞ **فَقَالَ**: «القَدِيمُ مَعْنًى وَاحِدٌ لِامْتِنَاعِ مَعَانٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا، وَامْتِنَاعِ التَّخْصِيصِ بِعَدَدٍ دُونَ عَدَدٍ». فَقَالُوا: «هُوَ مَعْنًى وَاحِدٌ».

۞ **وَقَالُوا**: «إِنَّ مَعْنَى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ مَعْنًى وَاحِدٌ، وَمَعْنَى آيَةِ الكُرْسِيِّ وَالدَّيْنِ وَاحِدٌ».

---

(١) بما يريد: من (م).

❁ **وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ:** «إِنَّهُ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ قَدِيمَةُ الأَعْيَانِ، لَمْ تَزَلْ وَلَا تَزَالُ، وَأَنَّ البَاءَ لَمْ تَسْبِقِ السِّينَ، وَالسِّينُ لَمْ تَسْبِقِ المِيمَ، وَأَنَّ الحُرُوفَ مُقْتَرِنَةٌ بِبَعْضِهَا اقْتِرَانًا قَدِيمًا أَزَلِيًّا، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، وَهِيَ مُتَرَتِّبَةٌ فِي حَقِيقَتِهَا وَمَاهِيَّتِهَا، غَيْرُ مُتَرَتِّبَةٍ فِي وُجُودِهَا».

❁ **وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ:** «إِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ».

❁ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ اللَّوَازِمِ الَّتِي يَقُولُ جُمْهُورُ الْعُقَلَاءِ: إِنَّهَا مَعْلُومَةُ الفَسَادِ بِضَرُورَةِ العَقْلِ.

❁ **قَالَ الإِمَامُ الطُّوفِيُّ**[1] **مِنَ الحَنَابِلَةِ:** إِنَّمَا كَانَ حَقِيقَةً فِي العِبَارَةِ، مَجَازًا فِي مَدْلُولِهَا، **لِوَجْهَيْنِ:**

أَحَدُهُمَا: أَنَّ المُتَبَادِرَ إِلَى فَهْمِ أَهْلِ اللُّغَةِ مِنْ إِطْلَاقِ الكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ العِبَارَةُ، وَالتَّبَادُرُ[2] دَلِيلُ الحَقِيقَةِ.

الثَّانِي: أَنَّ الكَلَامَ مُشْتَقٌّ مِنَ (الكَلْمِ)؛ لِتَأْثِيرِهِ فِي نَفْسِ السَّامِعِ، وَالمُؤَثِّرُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ إِنَّمَا هُوَ العِبَارَاتُ[3] لَا المَعَانِي النَّفْسِيَّةُ بِالفِعْلِ.

نَعَمْ، هِيَ مُؤَثِّرَةٌ لِلْفَائِدَةِ بِالقُوَّةِ، وَالعِبَارَةُ مُؤَثِّرَةٌ بِالفِعْلِ، فَكَانَتْ أَوْلَى بِأَنْ تَكُونَ حَقِيقَةً، وَمَا يَكُونُ مُؤَثِّرًا بِالقُوَّةِ مَجَازًا[4]. انْتَهَى كَلَامُهُ.

---

(١) هو: الفقيه الأصولي سليمان بن عبد القوي، الطوفي الصرصري البغدادي الحنبلي، توفي سنة ٧١٦هـ. «المقصد الأرشد في كر أصحاب الإمام أحمد» لابن مفلح ١/ ٤٢٥. مكتبة الرشد.

(٢) في (أ): المبادرة، وفي بقية النسخ: المتبادرة، والمثبت من (ت).

(٣) في (ر) و(ع) و(ت): العبارة، وفي (ط): والمؤثر في النفس إنما هو العبارات.

(٤) شرح مختصر الروضة للطوفي ٢/ ١٤. مؤسسة الرسالة.



أَدِلَّةُ السَّلَفِ عَلَى كَوْنِ الكَلَامِ حَقِيقَةً هُوَ الأَصْوَاتَ وَالحُرُوفَ

۞ مِنْهَا: مَا رَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: (إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَمَاءِ)(١).

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى كَأَنَّهَا أَوْ قَالَ: كَأَنَّه سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ)(٢).

۞ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ ﷺ: (إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ الأَمْرَ تَكَلَّمَ بِالوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ أَوْ قَالَ: رَعْدَةٌ شَدِيدَةٌ، خَوْفًا مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ، صَعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى المَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ)(٣).

۞ وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٣٨) ٤/ ٢٣٥. المكتبة العصرية.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٠٠) ٦/ ١٢٢. الطبعة السلطانية.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه (٥١٥)، ١/ ٢٢٦. المكتب الإسلامي.

۞ وَقَالَ تَعَالَى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ).

۞ وَالمَسْمُوعُ إِنَّمَا[١] هُوَ الحُرُوفُ وَالأَصْوَاتُ، لَا المَعَانِي وَالإِشَارَةُ بِالمِثْلِ إِلَى شَيْءٍ حَاضِرٍ، فَلَوْ كَانَ كَلَامُ اللهِ مَعْنًى قَائِمًا[٢] فِي النَّفْسِ - كَمَا قَالَتِ الْأَشْعَرِيَّةُ[٣] - لَمْ تَصِحَّ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ.

۞ وَمَا رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ خَمْسُونَ[٤] حَسَنَةً)[٥] الحَدِيثَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ الَّتِي يَطُولُ الكِتَابُ بِذِكْرِهَا وَسَيَأْتِي بَعْضُهَا.

۞ وَقَالَ ابْنُ كُلَّابٍ[٦] وَأَتْبَاعُهُ، مِنْهُمْ الإِمَامُ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَشْعَرِيُّ وَأَتْبَاعُهُ: «إِنَّ الكَلَامَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الأَلْفَاظِ المَسْمُوعَةِ، وَبَيْنَ الكَلَامِ النَّفْسِيِّ،

(١) في (م) و(ت) (ج): دائما.

(٢) في (ع) و(ط): قديم.

(٣) (كما تقول الأشعرية): ساقطة من (ع) و(ط).

(٤) هكذا في جميع النُسخ، وسيأتي في تخريجه أنه ورد بلفظ: (عشر)، و(أربعون).

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه: (فله بكل حرف عشر حسنات)، (٧٥٧٤) ٧/ ٣٠٧. دار الحرمين، وأخرجه الرازي في «الفوائد» (٣٠١) ١/ ١٣٠. مكتبة الرشد، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٩٧) ٣/ ٥٤٩. مكتبة الرشد، وفيهما: (فله بكل حرف أربعون حسنة).

(٦) هو: أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، البصري، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم، وكان رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، أخذ عنه الكلام: داود الظاهري. توفي بعد ٢٤٠هـ بقليل. «سير أعلام النبلاء» ١١/ ١٧٦. مؤسسة الرسالة، «طبقات الشافعية» للسبكي ٢/ ٢٩٩. دار هجر.

وَذَلِكَ، لِأَنَّهُ قَدْ اسْتُعْمِلَ لُغَةً وَعُرْفًا فِيهِمَا، وَالأَصْلُ فِي الإِطْلَاقِ الحَقِيقَةُ، فَيَكُونُ مُشْتَرَكًا».

❁ أَمَّا اسْتِعْمَالُهُ فِي العِبَارَةِ: فَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: (حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ)، وَسَمِعْتُ كَلَامَ فُلَانٍ وَفَصَاحَتَهُ.

❁ وَفِي مَدْلُولِهَا؛ فَنَحْوُ: (وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ)، (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ).

❁ وَقَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ: «زَوَّرْتُ فِي نَفْسِي كَلَامًا».

❁ وَقَوْلُ الأَخْطَلِ[١]: إِنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ... البَيْتَ[٢].

❁ وَلِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ سَمْعُهُ بِلَا انْخِرَاقٍ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ بِلَا حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ.

❁ وَذَكَرَ الغَزَّالِيُّ[٣]: أَنَّ قَوْمًا، جَعَلُوا الكَلَامَ حَقِيقَةً فِي المَعْنَى، مَجَازًا فِي العِبَارَةِ، وَقَوْمًا عَكَسُوا، وَقَوْمًا قَالُوا: بِالِاشْتِرَاكِ مَعًا، وَنَقَلَ الثَّلَاثَةَ عَنِ الأَشْعَرِيِّ[٤].

❁ فَعَلَى **القَوْلِ الثَّانِي**: لَا خِلَافَ بَيْننَا وَبَيْنَهُمْ.

❁ لَكِنِ المَشْهُورُ أَنَّ الأَشْعَرِيَّ وَأَتْبَاعَهُ **قَالُوا**: «القُرْآنُ المَوْجُودُ عِنْدَنَا حِكَايَةُ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى».

---

(١) هو: غياث بن غوث التغلبي النصراني شاعر زمانه. «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٨٩. مؤسسة الرسالة.

(٢) في هامش (ع): أي الذي ينسب للأخطل: إِن الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلا. وفي (ط): ورد البيت كاملًا.

(٣) هو: الإمام حجة الإسلام أبو حامدٍ محمّد بن محمّد بن محمّدٍ الغزّاليّ، صاحب التّصانيف، مهر في الكلام والجدل، مات سنة ٥٠٥هـ. «سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٣٢٢. مؤسسة الرسالة.

(٤) نقل الزركشي كلامه في «البحر المحيط» ٢/ ١٨٠. دار الكتبي.

۞ وَابْنُ كُلَّابٍ وَأَتْبَاعُهُ **قَالُوا**: «عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى لَا عَيْنُهُ»(١).

۞ وَرُوِيَ عَنِ الأَشْعَرِيِّ: كَلَامُ اللهِ القَائِمُ بِذَاتِهِ، يُسْمَعُ عِنْدَ تِلَاوَةِ كُلِّ تَالٍ، وَقِرَاءَةِ كُلِّ قَارِئٍ(٢).

۞ وَقَالَ البَاقِلَّانِيُّ(٣): «إِنَّمَا نَسْمَعُ التِّلَاوَةَ دُونَ المَتْلُوِّ، وَالقِرَاءَةَ دُونَ المَقْرُوءِ»(٤).

۞ وَكَانَ **أَبُو حَامِدٍ الإِسْفِرَائِينِيُّ**(٥) يَقُولُ: مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَسَائِرِ الأَئِمَّةِ فِي القُرْآنِ(٦) خِلَافُ قَوْلِ الأَشْعَرِيِّ، وَقَوْلُهُمْ هُوَ قَوْلُ الإِمَامِ أَحْمَدَ.

۞ وَكَذَلِكَ **أَبُو مُحَمَّد الجُوَيْنِيّ**(٧)، ذَكَرَ أَنَّ الأَشْعَرِيَّ خَالَفَ فِي مَسْأَلَةِ الكَلَامِ قَوْلَ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ، وَأَنَّهُ أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ.

۞ وَكَذَلِكَ سَائِرُ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَغَيرِهِمَا، يَذْكُرُونَ قَوْلَهُمْ فِي: حَدِّ

(١) «مقالات الإسلاميين» للأشعري ٢/ ٢٥٨. المكتبة العصرية.

(٢) «فتح الباري» لابن حجر ١٣/ ٤٧٩. دار المعرفة.

(٣) هو: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، مقدم الأصوليين، وكان ثقة إماما بارعا، صنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه، توفي سنة ٤٠٣هـ. «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ١٩٠. مؤسسة الرسالة.

(٤) «الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به» للباقلاني (١١٠). المكتبة الأزهرية للتراث.

(٥) هو: أبو حامد، أحمد ابن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني، شيخ الشافعية ببغداد. ولد سنة ٣٤٤هـ، وتوفي ٤٠٦هـ. «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ١٩٣. مؤسسة الرسالة.

(٦) في القرآن: زيادة من (أ) و(م).

(٧) هو: عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد حيويه الجويني الفقيه الشافعي والد إمام الحرمين، توفي سنة ٤٣٤هـ. «سير أعلام النبلاء» ٨ / ٤٦٨. مؤسسة الرسالة.

الكَلَامِ وَأَنْوَاعِهِ، مِنَ الأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، وَالخَبَرِ العَامِّ، وَالخَاصِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ، يَجْعَلُونَ الخِلَافَ فِي ذَلِكَ مَعَ الأَشْعَرِيِّ، كَمَا هُوَ مُبَيَّنٌ فِي أُصُولِ الفِقْهِ، الَّتِي صَنَّفَهَا أَئِمَّةُ أَصْحَابِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَغَيرِهِمْ[1].

❁ **قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ:** «القُرْآنُ كَيْفَ تَصَرَّفَ فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَا نَرَى القَوْلَ بِالحِكَايَةِ وَالعِبَارَةِ». وَغَلَّطَ مَنْ قَالَ بِهِمَا وَجَهَّلَهُ، **فَقَالَ:** «مَنْ قَالَ: إِنَّ القُرْآنَ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى فَقَدْ غَلِطَ وَجَهِلَ».

❁ وَقَالَ: «النَّاسِخُ وَالمَنْسُوخُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى دُونَ العِبَارَةِ وَالحِكَايَةِ».

❁ وَقَالَ: «هَذِهِ بِدْعَةٌ لَمْ يَقُلْهَا[2] السَّلَفُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (تَكْلِيمًا) يُبْطِلُ الحِكَايَةَ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ»[3]. انْتَهَى

❁ **قَالَ الطُّوفِيُّ:**

قَالَ المُخَالِفُونَ: «اسْتُعْمِلَ لُغَةً وَعُرْفًا فِي النَّفْسِي وَالعِبَارَةِ».

قُلْنَا: نَعَمْ، لَكِنْ بِالِاشْتِرَاكِ أَوْ بِالحَقِيقَةِ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ، وَبِالمَجَازِ فِيمَا ذَكَرْتُمُوهُ، وَالْأَوَّلُ مَمْنُوعٌ.

قَالُوا: الأَصْلُ فِي الإِطْلَاقِ الحَقِيقَةُ.

---

(١) انظر للحنفية: «التقرير والتحبير علي تحرير الكمال» لابن الهمام ١/ ٣٠٣ دار الكتب العلمية، وللمالكية: «إيضاح المحصول من برهان الأصول» للمازري المالكي ١/ ٢٠٠. دار الغرب الإسلامي، وللشافعية: «البرهان في أصول الفقه» للجويني الشافعي ١/ ٢١٢. تحقيق د. عبد العظيم الديب، وللحنابلة: «العدة في أصول الفقه» لأبي يعلى الحنبلي ١/ ٢١٤، ٣/ ٨٤٠. تحقيق د. أحمد المباركي.

(٢) في (م) و(ع): تقلها.

(٣) «نهاية المبتدئين» لابن حمدان (٢٧). مكتبة الرشد.

قُلْنَا: وَالأَصْلُ عَدَمُ الاِشْتِرَاكِ، ثُمَّ قَدْ يُعَارِضُ المَجَازُ الاِشْتِرَاكَ المُجَرَّدَ، وَالمَجَازُ أَوْلَى، ثُمَّ إِنَّ لَفْظَ الكَلَامِ أَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي العِبَارَاتِ، وَكَثْرَةُ مَوَارِدِ الاِسْتِعْمَالِ تَدُلُّ عَلَى الحَقِيقَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ) فَمَجَازٌ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا دَلَّ عَلَى المَعْنَى النَّفْسِيِّ بِالقَرِينَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: (فِي أَنْفُسِهِمْ) وَلَوْ أَطْلَقَ، لَمَا فُهِمَ إِلَّا العِبَارَةُ.

وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا جَاءَ مِنْ هَذَا البَابِ، إِنَّمَا يُفِيدُ مَعَ القَرِينَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ رضي الله عنه: (زَوَّرْتُ فِي نَفْسِي كَلَامًا).

۞ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ) فَلَا حُجَّةَ فِيهِ؛ لِأَنَّ الإِسْرَارَ خِلَافُ الجَهْرِ وَكِلَاهُمَا عِبَارَةٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا أَرْفَعَ صَوْتًا مِنَ الآخَرِ.

۞ وَأَمَّا بَيْتُ الأَخْطَلِ فَيُقَالُ: إِنَّ المَشْهُورَ فِيهِ: (إِنَّ البَيَانَ لَفِي الفُؤَادِ)، وَبِتَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ كَمَا ذَكَرْتُمْ، فَهُوَ مَجَازٌ عَنْ مَادَّةِ الكَلَامِ، وَهُوَ التَّصَوُّرَاتُ المُصَحِّحَةُ لَهُ، إِذْ مَنْ لَمْ يَتَصَوَّرْ مَا يَقُولُ، لَا يُوجِدُ كَلَامًا، ثُمَّ هُوَ مُبَالَغَةٌ مِنْ هَذَا الشَّاعِرِ، فِي تَرْجِيحِ الفُؤَادِ عَلَى اللِّسَانِ[١]. انْتَهَى

۞ وَلِابْنِ قَاضِي الجَبَلِ فِي الأَجْوِبَةِ عَنِ الآيَاتِ وَبَيْتِ الأَخْطَلِ، كَلَامٌ يُقَارِبُهُ فِي المَعْنَى، وَنَقَلَ ابْنُ القَيِّمِ، أَنَّ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ رَدَّ الكَلَام النَّفْسِيَّ مِنْ تِسْعِينَ وَجْهًا[٢].

---

(١) شرح مختصر الروضة للطوفي ٢/ ١٤. مؤسسة الرسالة.

(٢) قال المحقق ابن القيم في «الكافية الشافية»:

وَكَذَاكَ تَسْعِينِيَّةٌ فِيهَا لَهُ رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ بِالنَّفْسَانِي

تُسْعُونَ وَجهًا بَيَّنَتْ بُطْلَانَهُ أَعْنِي كَلَامَ النَّفْسِ ذَا الوجدانِ.

❁ **وَقَالَ الغَزَّالِيُّ:** «مَنْ أَحَالَ سَمَاعَ مُوسَى كَلَامًا لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ، فَلْيُحِلْ يَوْمَ القِيَامَةِ رُؤْيَةَ ذَاتٍ لَيْسَتْ بِجِسْمٍ وَلَا عَرَضٍ»(١). انْتَهَى

❁ **وَقَالَ الطُّوفِيُّ:** كُلُّ هَذَا تَكَلُّفٌ وَخُرُوجٌ عَنِ الظَّاهِرِ، بَلْ عَنِ القَاطِعِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ، إِلَّا خَيَالَاتٍ لَاغِيَةٍ، وَأَوْهَامٍ مُتَلَاشِيَةٍ، وَمَا ذَكَرُوهُ مُعَارَضٌ بِأَنَّ المَعَانِي لَا تَقُومُ شَاهِدًا إِلَّا بِالأَجْسَامِ، فَإِنْ أَجَازُوا مَعْنًى قَامَ بِالذَّاتِ القَدِيمَةِ وَلَيْسَتْ جِسْمًا، فَلْيُجِيزُوا خُرُوجَ صَوْتٍ مِنَ الذَّاتِ القَدِيمَةِ وَلَيْسَتْ جِسْمًا، إِذْ كِلَا الأَمْرَيْنِ خِلَافُ الشَّاهِدِ، وَمَنْ أَحَالَ كَلَامًا لَفْظِيًّا مِنْ غَيْرِ جِسْمٍ، فَلْيُحِلْ ذَاتًا مَرْئِيَّةً غَيْرَ جِسْمٍ، وَلَا فَرْقَ(٢).

❁ وَالعَجَبُ مِنْ هَؤُلَاءِ القَوْمِ؛ مَعَ أَنَّهُمْ عُقَلَاءُ فُضَلَاءُ، يُجِيزُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَخْلُقُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ عِلْمًا ضَرُورِيًّا، وَسَمْعًا لِكَلَامِهِ النَّفْسِيِّ، مِنْ غَيْرِ تَوَسُّطِ صَوْتٍ وَلَا حَرْفٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَاصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ قَلْبٌ لِحَقِيقَةِ السَّمْعِ فِي الشَّاهِدِ، إِذْ حَقِيقَةُ السَّمْعِ فِي الشَّاهِدِ، اتِّصَالٌ لِلأَصْوَاتِ بِحَاسَّةٍ(٣).

فَإِنْ قَالُوا: «يَسْتَحِيلُ وُجُودُ حَرْفٍ وَصَوْتٍ إِلَّا مِنْ جِسْمٍ»(٤).

قُلْنَا: «إِنْ عَنَيْتُمُ اسْتِحَالَتَهُ بِالإِضَافَةِ إِلَى الشَّاهِدِ، فَسَمَاعُ كَلَامٍ بِدُونِ تَوَسُّطِ صَوْتٍ وَحَرْفٍ كَذَلِكَ أَيضًا، وَإِنْ عَنَيْتُمُ اسْتِحَالَتَهُ مُطْلَقًا؛ فَلَا نُسَلِّمُ، إِذِ البَارِي جَلَّ

---

(١) نقل الزركشي كلامه ونسبه إلى بعض كتبه العقدية «البحر المحيط» ٢/ ١٨١. دار الكتبي.

(٢) شرح مختصر الروضة للطوفي ٢/ ١٣. مؤسسة الرسالة.

(٣) المرجع السابق ٢/ ١٥. مؤسسة الرسالة.

(٤) في النسخ: (جسد)، والمثبت من (ت) وهو موافق للمطبوع.

جَلَالُهُ عَلَى خِلَافِ المُشَاهَدَةِ وَالمَعْقُولِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَقَدْ وَرَدَت النُّصُوصُ بِمَا قُلْنَاهُ فَوَجَبَ القَوْلُ بِهِ»[١]. انْتَهَى

۞ وَسَيَأْتِي فِي **التَّتِمَّةِ الثَّانِيَةِ** ذِكْرُ كَلَامِ صَاحِبِ المَوَاقِفِ، وَجَوَابِهِ المُوَافِقِ لِجَوَابِ الطُّوفِيِّ.

۞ **وَقَالَ الحَافِظُ أَبُو نَصْرٍ السِّجِسْتَانِيُّ**[٢] عَنْ قَوْلِ الأَشْعَرِيِّ: لَـمَّا كَانَ سَمْعُهُ بِلَا انْخِرَاقٍ وَجَبَ أَن يَكُونُ كَلَامُهُ بِلَا حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ.

۞ هَذَا غَيْرُ مُسَلَّمٍ، وَلَا يَقْتَضِي مَا قَالَهُ، وَإِنَّمَا يَقْتَضِي أَنَّ سَمْعَهُ لَـمَّا كَانَ بِلَا انْخِرَاقٍ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ بِلَا لِسَانٍ وَشَفَتَيْنِ وَحَنَكٍ.

۞ وَأَيضًا لَو كَانَ الكَلَامُ غَيْرَ حَرْفٍ، وَكَانَتِ الحُرُوفُ عِبَارَةً عَنْهُ، لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ أَنْ يُحْكَمَ لِتِلْكَ العِبَارَةِ بِحُكْمٍ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَحْدَثَهَا فِي صَدْرٍ، أَوْ لَوْحٍ، أَوْ نَطَقَ بِهَا بَعْضُ عَبِيدِهِ، فَتَكُونَ مَنْسُوبَةً إِلَيْهِ، فَيَلْزَمُ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ أَنْ يُفْصِحَ بِمَا عِنْدَهُ فِي السُّوَرِ وَالآيِ وَالحُرُوفِ، أَهِيَ عِبَارَةُ جِبْرِيلَ؟ أَوْ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

۞ وَأَيضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) وَ«كُنْ» حَرْفَانِ، وَلَا يَخْلُو الأَمْرُ مِنْ أَحَدِ **وَجْهَيْنِ**:

- إِمَّا أَنْ يُرَادَ بِقَوْلِهِ «كُنْ» التَّكْوِينُ كَقَوْلِ المُعْتَزِلَةِ.

- أَو يَكُونَ المُرَادُ بِهِ ظَاهِرَهُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ إِنْجَازَ شَيْءٍ قَالَ لَهُ: «كُنْ» عَلَى الحَقِيقَةِ فَيَكُونُ.

---

(١) «شرح مختصر الروضة» للطوفي ٢/ ١٦. مؤسسة الرسالة.

(٢) أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوائلي، البكري، السجستاني، شيخ الحرم، ومصنف: «الإبانة الكبرى». توفي سنة ٤٤٤هـ. «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٦٥٦. مؤسسة الرسالة.

۞ فَإِنْ قَالَ الأَشْعَرِيُّ: إِنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، لَا بِمَعْنَى التَّكْوِينِ، فَيَكُونُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَهْوَ حَرْفَانِ، وَهُوَ مُخَالِفٌ لِمَذْهَبِهِ، وَإِنْ قَالَ: لَيْسَ بِحَرْفٍ صَارَ بِمَعْنَى التَّكْوِينِ كَالمُعْتَزِلَةِ[١]. انْتَهَى.

۞ **وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «شَرْحِ البُخَارِي»** فِي بَابِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ) الآيَةَ، وَالمَنْقُولُ عَنِ السَّلَفِ اتِّفَاقُهُمْ عَلَى أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ تَلَقَّاهُ جِبْرِيلُ عَنِ اللهِ تَعَالَى، وَبَلَّغَهُ جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبَلَّغَهُ هُوَ إِلَى أُمَّتِهِ[٢]. انْتَهَى

۞ **قَالَ ابْنُ قَاضِي الجَبَلِ**: احْتَجَّ الجُمْهُورُ بِالكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَاللُّغَةِ، وَالعُرْفِ.

۞ أَمَّا الكِتَابُ، فَقَوْله سُبْحَانَهُ: (آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) فَلَمْ يُسَمِّ الإِشَارَةَ كَلَامًا.

وَقَالَ لِمَرْيَمَ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا).

۞ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللهَ عَفَى لِأُمَّتِي عَنِ الخَطَإِ وَالنِّسْيَانِ وَمَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ)[٣].

---

(١) «رسالة لأبي نصر السجزي إلى أهل زبيد» (١٥٦). عمادة البحث بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

(٢) «فتح الباري» لابن حجر ١٣/ ٤٦٣. دار المعرفة.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٦٩) ٧/ ٤٦. الطبعة السلطانية، ومسلم (١٢٧) ١/ ١١٦. دار إحياء التراث العربي.

۞ وَقَسَّمَ أَهْلُ اللِّسَانِ الكَلَامَ: إِلَى اسْمٍ، وَفِعْلٍ، وَحَرْفٍ.

۞ وَاتَّفَقَ الفُقَهَاءُ كَافَّةً عَلَى أَنَّ مَنْ حَلَفَ: لَا يتكَلَّمُ، لَا يَحْنَثُ بِدُونِ النُّطْقِ، وَإِنْ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ.

فَإِنْ قِيلَ: الأَيْمَانُ مَبْنَاهَا عَلَى العُرْفِ.

قِيلَ: الأَصْلُ عَدَمُ التَّغْيِيرِ.

۞ وَأَهْلُ العُرْفِ يُسَمُّونَ النَّاطِقَ مُتَكَلِّمًا، وَمَنْ عَدَاهُ سَاكِتًا، أَوْ أَخْرَسَ.

۞ **فَإِن قَالُوا**: قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) أَكْذَبَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي شَهَادَتِهِمْ، وَمَعْلُومٌ صِدْقُهُمْ بِالنُّطْقِ اللِّسَانِي، فَلَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ الكَلَامِ النَّفْسِيِّ لِيَكُونَ الكَذِبُ عَائِدًا إِلَيْهِ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ الشَّهَادَةَ الإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ مَعَ اعْتِقَادِهِ، فَلَمَّا لَمْ يَكُونُوا مُعْتَقِدِينَ ذَلِكَ، أَكْذَبَهُمُ[١] اللهُ تَعَالَى[٢].

۞ **وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ السِّجْزِيُّ**: قَوْلُهُمْ: «لَا يَتَبَعَّضُ»، يَرِدُ عَلَيْهِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، سَمِعَ بَعْضَ كَلَامِ اللهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: سَمِعَ الكُلَّ[٣].

۞ **وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ فِي فُتْيَا لَهُ تُسَمَّى بِـ «الأَزْهَرِيَّةِ»**: وَمَنْ قَالَ: إِنَّ القُرْآنَ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى، **وَقَعَ فِي مَحْذُورَاتٍ**:

....

(١) في (ر) و(ت) و(ط): كذبهم.

(٢) نقل كلامه المرداوي في «التحبير» ٣/ ١٢٧٤. مكتبة الرشد.

(٣) «رسالة لأبي نصر السجزي إلى أهل زبيد» (١١٤). عمادة البحث بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

أَحَدُهَا: قَوْلُهُمْ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ لَيْسَ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّ نَفْيَ هَذَا الإِطْلَاقِ خِلَافُ مَا عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الإِسْلَامِ، وَخِلَافُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ.

وَالثَّانِي: قَوْلُهُمْ: «عِبَارَةٌ» إِنْ أَرَادُوا؛ أَنَّ هَذَا التَّالِيَ هُوَ الَّذِي عَبَّرَ عَنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى القَائِمِ بِنَفْسِهِ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ تَالٍ مُعَبِّرًا عَمَّا فِي نَفْسِ اللهِ تَعَالَى، وَالمُعَبِّرُ عَنْ غَيْرِهِ هُوَ المُنْشِئُ لِلْعِبَارَةِ، فَيَكُونُ كُلُّ قَارِئٍ هُوَ المُنْشِئَ لِعِبَارَةِ القُرْآنِ، وَهَذَا مَعْلُومُ الفَسَادِ بِالضَّرُورَةِ.

وَإِنْ أَرَادُوا: أَنَّ القُرْآنَ العَرَبِيَّ عِبَارَةٌ عَنْ مَعَانِيهِ، فَهَذَا حَقٌّ إِذْ كُلُّ كَلَامٍ لَفْظُهُ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْنَاهُ، لَكِنْ هَذَا لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ الكَلَامُ مُتَنَاوِلًا لِلَّفْظِ[١]. انْتَهَى.

۞ قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ مُوَفَّقُ الدِّينِ ابْنُ قُدَامَةَ[٢] فِي مُصَنَّفٍ لَهُ: وَاعْتَرَضَ القَائِلُ بِكَلَامِ النَّفْسِ بِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: قَوْلُ الأَخْطَلِ: إِنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ... البَيْتَ.

الثَّانِي: سَلَّمْنَا أَنَّ كَلَامَ الآدَمِيِّ صَوْتٌ وَحَرْفٌ، لَكِنْ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى يُخَالِفُهُ؛ لِأَنَّهُ صِفَتُهُ، فَلَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الآدَمِيِّينَ، وَلَا كَلَامُهُ كَلَامَهُمْ.

الثَّالِثُ: أَنَّ مَذْهَبَكُمْ فِي الصِّفَاتِ أَنْ لَا تُفَسَّرَ، فَكَيْفَ فَسَّرْتُمْ كَلَامَ اللهِ بِمَا ذَكَرْتُمْ.

الرَّابِعُ: أَنَّ الحُرُوفَ لَا تَخْرُجُ إِلَّا مِنْ مَخَارِجَ وَأَدَوَاتٍ، وَالصَّوْتُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ جِسْمٍ، وَاللهُ تَعَالَى مُتَعَالٍ عَنْ ذَلِكَ.

---

(١) «التحبير» للمرداوي ٣/ ١٢٧٨. مكتبة الرشد.

(٢) هو: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي، شيخ الإسلام؛ له تصانيف في المذهب الحنبلي أصولًا وفروعًا أشهرها: «المغني»، وتوفي سنة ٦٢٠هـ. «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ٣/ ٢٩٧. مكتبة العبيكان.

الخَامِسُ: أَنَّ الحُرُوفَ يَدْخُلُهَا التَّعَاقُبُ، وَكُلُّ مَسْبُوقٍ مَخْلُوقٌ.

السَّادِسُ: أَنَّ هَذَا يَدْخُلُهُ التَّجَزُّؤُ وَالتَّعَدُّدُ، وَالقَدِيمُ لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يَتَعَدَّدُ.

۞ قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ المُوَفَّقُ: الجَوَابُ عَنِ الأَوَّلِ مِنْ وُجُوهٍ:

الأَوَّلُ: أَنَّ هَذَا شَاعِرٌ نَصْرَانِيٌّ عَدُوٌّ للهِ وَرَسُولِهِ وَدِينِهِ، أَفَيَجِبُ[١] اطِّرَاحُ كَلَامِهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ وَسَائِرِ الخَلْقِ تَصْحِيحًا لِكَلَامِهِ؟ وَحَمْلُ كَلَامِهِمْ عَلَى المَجَازِ[٢] صِيَانَةً لِكَلِمَتِهِ هَذِهِ عَنِ المَجَازِ.

وَأَيْضًا: فَيَحْتَاجُونَ إِلَى إِثْبَاتِ هَذَا الشِّعْرِ بِبَيَانِ إِسْنَادِهِ، وَنَقْلِ الثِّقَاتِ لَهُ، وَلَا نَقْنَعُ بِشُهْرَتِهِ، فَقَدْ يَشْتَهِرُ الفَاسِدُ.

وَقَد سَمِعْتُ شَيْخَنَا أَبَا مُحَمَّدٍ الْخَشَّابَ[٣]، إِمَامَ أَهْلِ العَرَبِيَّةِ فِي زَمَانِهِ، يَقُولُ: «قَدْ فَتَّشْتُ دَوَاوِينَ الأَخْطَلِ العَتِيقَةَ، فَلَمْ أَجِدْ هَذَا البَيْتَ فِيهَا».

الثَّانِي: لَا نُسَلِّمُ أَنَّ لَفْظَهُ هَكَذَا، إِنَّمَا قَالَ: (إِنَّ البَيَانَ مِنَ الفُؤَادِ)، فَحَرَّفُوهُ وَقَالُوا: «الكَلَامَ».

الثَّالِثُ: أَنَّ هَذَا مَجَازٌ، أَرَادَ بِهِ: أَنَّ الكَلَامَ مِنْ عُقَلَاءِ النَّاسِ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ التَّرَوِّي فِيهِ، وَاسْتِحْضَارِ مَعَانِيهِ فِي القَلْبِ، كَمَا قِيلَ: «لِسَانُ الحَكِيمِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَحَلٌّ قَالَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَكَتَ، وَكَلَامُ الجَاهِلِ عَلَى طَرَفِ لِسَانِهِ».

---

(١) في بقية النسخ: فيجب، والمثبت من (أ) و(ر).

(٢) في (م) و(ج): وحمل كلامه على الحقيقة.

(٣) هو: عبد الله بن أحمد بن البغدادي، ابن الخشاب، إمام النحو، ومن يضرب به المثل في العربية، توفي سنة ٥٦٧هـ. «سير أعلام النبلاء» ٢٠/ ٥٢٣. مؤسسة الرسالة.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هَذَا مَجَازٌ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ:

أَحَدُهَا: مَا ذَكَرْنَاهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الكَلَامَ هُوَ النُّطْقُ، وَحَمْلُهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، بِحَمْلِ(١) كَلِمَةِ(٢) الأَخْطَلِ عَلَى مَجَازِهَا، أَوْلَى مِنَ العَكْسِ.

ثَانِيهَا: أَنَّ الحَقِيقَةَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهَا بِسَبْقِهَا إِلَى الذِّهْنِ، وَتَبَادُرِ الأَفْهَامِ إِلَيْهَا، وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْ إِطْلَاقِ الكَلَامِ مَا ذَكَرْنَاهُ.

ثَالِثُهَا: تَرْتِيبُ الأَحْكَامِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، دُونَ مَا ذَكَرُوهُ.

رَابِعُهَا: قَوْلُ أَهْلِ العَرَبِيَّةِ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ اللِّسَانِ، وَهُمْ أَعْرَفُ بِهَذَا الشَّأْنِ.

خَامِسُهَا: لَا تَصِحُّ إِضَافَةُ مَا ذَكَرُوهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ جَعَلَ الكَلَامَ فِي الفُؤَادِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُوصَفُ بِذَلِكَ، وَجَعَلَ اللِّسَانَ دَلِيلًا عَلَيْهِ؛ وَلأَنَّ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ الأَخْطَلُ بِالكَلَامِ: هُوَ التَّرَوِّي وَالفِكْرُ وَاسْتِحْضَارُ المَعَانِي، وَحَدِيثُ النَّفْسِ وَوَسْوَسَتُهَا، وَلَا تَجُوزُ إِضَافَةُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ المُسْلِمِينَ.

قَالَ: وَمِنْ أَعْجَبِ الأُمُورِ أَنَّ خُصُومَنَا رَدُّوا عَلَى اللهِ وَعَلَى رَسُولِهِ وَخَالَفُوا جَمِيعَ الخَلْقِ مِنَ المُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ، فِرَارًا مِنَ التَّشْبِيهِ عَلَى زَعْمِهِمْ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى تَشْبِيهٍ أَقْبَحَ وَأَفْحَشَ مِنْ كُلِّ تَشْبِيهٍ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ التَّغَفُّلِ.

وَمِنْ أَدَلِّ الأَشْيَاءِ عَلَى فَسَادِ قَوْلِهِمْ، تَرْكُهُمْ قَوْلَ اللهِ، وَقَوْلَ رَسُولِهِ ﷺ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنَ الأَدِلَّةِ، وَتَمَسُّكُهُمْ بِكَلِمَةٍ قَالَهَا هَذَا الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ، وَجَعَلُوهَا أَسَاسَ مَذْهَبِهِمْ، وَقَاعِدَةَ عَقْدِهِمْ، وَلَوْ أَنَّهَا انْفَرَدَتْ عَنْ مُبْطِلٍ، وَخَلَتْ عَنْ مُعَارِضٍ، لَمَا جَازَ

---

(١) في (م) و(ج): يحمل.

(٢) في (ر) و(ت) و(ج): كلام.

أَنْ يُبْنَى عَلَيْهَا هَذَا الأَصْلُ العَظِيمُ، فَكَيْفَ وَقَدْ عَارَضَهَا مَا لَا يُمْكِنُ رَدُّهُ؟ فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ مَنْ بَنَى قَصْرًا عَلَى أَعْوَادِ الكِبْرِيتِ، فِي مَجْرَى النِّيلِ.

۞ **وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «إِنَّ كَلَامَ اللهِ يَجِبُ أَنْ لَا يَكُونَ حُرُوفًا يُشْبِهُ كَلَامَ الآدَمِيِّينَ».**

قُلْنَا جَوَابُهُ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ الاِتِّفَاقَ فِي أَصْلِ الحَقِيقَةِ لَيْسَ بِتَشْبِيهٍ، كَمَا أَنَّ اتِّفَاقَ[1] البَصَرِ بِأَنَّهُ إِدْرَاكُ المُبْصَرَاتِ، وَالسَّمْعِ فِي أَنَّهُ إِدْرَاكُ المَسْمُوعَاتِ، وَالعِلْمِ فِي أَنَّهُ إِدْرَاكُ المَعْلُومَاتِ لَيْسَ بِتَشْبِيهٍ، كَذَلِكَ هَذَا.

الثَّانِي: أَنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا، كَانَ[2] تَشْبِيهُهُمْ أَقْبَحَ وَأَفْحَشَ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ إِنْ نَفَوْا هَذِهِ الصِّفَةَ ـ لِكَونِ هَذَا تَشْبِيهًا ـ يَنْبَغِي أَنْ يَنْفُوا سَائِرَ الصِّفَاتِ[3]، مِنَ الوُجُودِ وَالحَيَاةِ وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَغَيرِهَا.

۞ **أَمَّا قَوْلُهُمْ: «أَنْتُمْ فَسَّرْتُمْ هَذِهِ الصِّفَةَ».**

قُلْنَا: الَّذِي لَا يَجُوزُ تَفْسِيرُهُ المُتَشَابِهُ الَّذِي سَكَتَ السَّلَفُ عَنْ تَفْسِيرِهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الكَلَامُ، فَإِنَّهُ مِنَ المَعْلُومِ بَيْنَ الخَلْقِ أَنَّهُ لَا تَشَابُهَ فِيهِ، وَقَدْ فَسَّرَهُ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

وَأَيْضًا: نَحْنُ فَسَّرْنَاهُ بِحَمْلِهِ عَلَى حَقِيقَتِهِ، تَفْسِيرًا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَهُمْ فَسَّرُوهُ بِمَا لَمْ يَرِدْ بِهِ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ، وَلَا يُوَافِقُ الحَقِيقَةَ، وَلَا يَجُوزُ[4] نِسْبَتُهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

---

(١) في (ر) و(ت): إدراك.

(٢) في (ر) و(ت): لكان.

(٣) في (م): أنهم إن نفوا هذه الصفة لما يلزمها من التشبيه على ما زعموه يلزمهم أن ينفوا سائر.

(٤) في (أ) و(ع) و(ج) و(ط): ولا تجوز.

﴿ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «إِنَّ الحُرُوفَ تَحْتَاجُ إِلَى مَخَارِجَ وَأَدَوَاتٍ».

قُلْنَا: احْتِيَاجُهَا إِلَى ذَلِكَ فِي حَقِّنَا، لَا يُوجِبُ ذَلِكَ فِي كَلَامِ اللهِ، تَعَالَى اللهُ عَن ذَلِكَ.

﴿ فَإِنْ قَالُوا: «بَلْ احْتِيَاجُ اللهِ كَاحْتِيَاجِنَا قِيَاسًا لَهُ عَلَيْنَا».

أَخْطَأُوا مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَلْزَمُهُمْ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ الَّتِي سَلَّمُوهَا: كَالسَّمْعِ، وَالبَصَرِ، وَالعِلْمِ، وَالحَيَاةِ، لَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي حَقِّنَا إِلَّا فِي جِسْمٍ، وَلَا يَكُونُ البَصَرُ إِلَّا فِي حَدَقَةٍ، وَلَا السَّمْعُ إِلَّا مِنِ انْخِرَاقٍ، والله تَعَالَى بِخِلَافِ ذَلِكَ.

ثَانِيهَا: أَنَّ هَذَا تَشْبِيهٌ للهِ بِنَا، وَقِيَاسٌ لَهُ عَلَيْنَا، وَهَذَا كُفْرٌ.

ثَالِثُهَا: أَنَّ بَعْضَ المَخْلُوقَاتِ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى مَخَارِجَ فِي كَلَامِهَا، كَالأَيْدِي، وَالأَرْجُلِ، وَالجُلُودِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ يَوْمَ القِيَامَةِ[١]، وَالحَجَرِ الَّذِي سَلَّمَ عَلَى النَّبِي اللهِ ﷺ[٢]، وَالحَصَى الَّذِي سَبَّحَ فِي كَفِّهِ[٣]، وَالذِّرَاعِ المَسْمُومَةِ الَّتِي كَلَّمَتْهُ[٤]، وَقَالَ ابْنُ

---

(١) قال تعالى: (حَتَّى إِذَا مَا جاءوها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) سورة فصلت.

(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ». أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٧٧) ٤/ ١٧٨٢. دار إحياء التراث العربي.

(٣) عن أبي ذر الغفاري قال: «إني لشاهدٌ عند النبي ﷺ في حَلْقَةٍ، وفي يديه حَصَى، فسبَّحن في يده...) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٢٤٤) ٢/ ٥٩. دار الحرمين

(٤) كَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّ يَهُودِيَّةً، مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ سَمَّتْ شَاةً مَصْلِيَّةً ثُمَّ أَهْدَتْهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الذِّرَاعَ، فَأَكَلَ مِنْهَا، وَأَكَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: =

مَسْعُودٍ: (كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ)(١)، وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى إِنْطَاقِ الحَجَرِ الأَصَمِّ بِلَا أَدَوَاتٍ.

۞ قُلْتُ: إِنَّ الَّذِي يُقْطَعُ بِهِ عَنْهُمْ، أَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يحْتَاجُ كَحَاجَتِنَا، قِيَاسًا لَهُ عَلَيْنَا، فَإِنَّه عَيْنُ التَّشْبِيهِ، وَهُمْ لَا يَقُولُونَ ذَلِكَ، وَيَفِرُّونَ مِنْهُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الشَّيْخَ المُوَفَّقَ قَالَ ذَلِكَ عَلَى تَقْدِيرِ قَوْلِهِمْ لَهُ.

۞ **ثُمَّ قَالَ: وَقَوْلُهُمْ: «إِنَّ التَّعَاقُبَ يَدْخُلُ فِي الحُرُوفِ».**

قُلْنَا: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي حَقِّ مَنْ يَنْطِقُ بِالمَخَارِجِ وَالأَدَوَاتِ، وَلَا يُوصَفُ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ(٢).

۞ **وَقَالَ الحَافِظُ أَبُو نَصْرٍ**: إِنَّمَا يَتَعَيَّنُ التَّعَاقُبُ فِيمَنْ يتكَلَّمُ بِأَدَاةٍ يَعْجِزُ عَنْ أَدَاءِ شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ الفَرَاغِ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَمَّا المُتَكَلِّمُ بِلَا جَارِحَةٍ، فَلَا يَتَعَيَّنُ فِي كَلَامِهِ تَعَاقُبٌ، وَقَدِ اتَّفَقَتِ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَتَوَلَّى الحِسَابَ بَيْنَ خَلْقِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، وَعِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ: أَنَّ المُخَاطِبَ فِي الحَالِ هُوَ وَحْدَهُ، وَهَذَا خِلَافُ التَّعَاقُبِ(٣). انْتَهَى كَلَامُ أَبِي نَصْرٍ.

= «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ» وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَدَعَاهَا، فَقَالَ لَهَا «أَسَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ» قَالَتِ الْيَهُودِيَّةُ: مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ «أَخْبَرَتْنِي هَذِهِ فِي يَدِي» لِلذِّرَاعِ، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ «فَمَا أَرَدْتِ إِلَى ذَلِكَ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَنْ يَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا اسْتَرَحْنَا مِنْهُ، فَعَفَا عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُعَاقِبْهَا. أبو داود في سننه (٤٥١٠) ٤/ ١٧٣. المكتبة العصرية.

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٩) ٤/ ١٩٤. الطبعة السلطانية.

(٢) «الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم» لابن قدامة (٤٥). مكتبة الفرقان.

(٣) «رسالة لأبي نصر السجزي إلى أهل زبيد» (١٦٨). عمادة البحث بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

❁ قَالَ المُوَفَّقُ: وَقَوْلُهُمْ: «إِنَّ القَدِيمَ لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يَتَعَدَّدُ».

«غَيْرُ صَحِيحٍ، فَإِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعْدُودَةٌ، قَالَ تَعَالَى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ)، وَقَالَ ﷺ: (إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)(١)، وَهِيَ قَدِيمَةٌ، وَقَدْ نَصَّ الشَّافِعِيُّ عَلَى أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَى غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: «مَنْ قَالَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ كَفَرَ».

وَكَذَلِكَ كُتُبُ اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالفُرْقَانَ مُتَعَدِّدَةٌ، وَهِيَ كَلَامُهُ تَعَالَى غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَإِنَّمَا هَذَا أَخَذُوهُ مِنْ عِلْمِ الكَلَامِ، وَهُوَ مُطَّرَحٌ عِنْدَ جَمِيعِ الأَئِمَّةِ.

قَالَ أَبُو يُوسُفَ(٢): «مَنْ طَلَبَ العِلْمَ بِالكَلَامِ تَزَنْدَقَ».

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «مَا ارْتَدَى بِالكَلَامِ أَحَدٌ فَأَفْلَحَ».

وَقَالَ أَحْمَدُ: «مَا أَحَبَّ الكَلَامَ أَحَدٌ فَكَانَتْ عَاقِبَتُهُ إِلَى خَيْرٍ».

وَقَالَ ابْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادَ المَالِكِيُّ(٣): «كُتُبُ(٤) البِدَعِ عِنْدَ مَالِكٍ وَسَائِرِ أَصْحَابِهِ، هِيَ: كُتُبُ الكَلَامِ، وَالتَّنْجِيمِ، وَشِبْهِ ذَلِكَ، لَا تَصِحُّ إِجَارَتُهَا، وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَةُ أَهْلِهِ»(٥).

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦) ٣/ ١٩٨. الطبعة السلطانية، ومسلم (٢٦٧٧) ٤/ ٢٠٦٣. دار إحياء التراث العربي.

(٢) هو: محمد بن الحسن الشيباني، صاحب أبي حنيفة، توفي ١٨٦هـ. «سير أعلام النبلاء» ٩/ ١٣٤. مؤسسة الرسالة.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن عبد الله بن خويز منداد من كبار المالكية العراقيين، كان يُجانبُ الكلام جُملةً، وينافر أهله، توفي بعد ٣٩٠هـ. «تاريخ الإسلام» للذهبي ٨/ ٦٨٠. دار الغرب الإسلامي.

(٤) كُتب: غير مثبتة في النسخ الخطية، وهي مثبتة في المصدر، وإثباتها أولى ليستقيم بها الكلام.

(٥) «الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم» لابن قدامة (٤٦). مكتبة الفرقان.

❁ **قَالَ الحَافِظُ أَبُو نَصْرٍ**: فَإِنْ قِيلَ: «الصَّوْتُ وَالحَرْفُ إِذَا ثَبَتَا فِي الكَلَامِ اقْتَضَيَا عَدَدًا، وَاللهُ وَاحِدٌ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ».

قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ اعْتِمَادَ أَهْلِ الحَقِّ فِي هَذِهِ الأَبْوَابِ عَلَى السَّمْعِ، وَقَدْ وَرَدَ السَّمْعُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ ذُو عَدَدٍ، وَأَقَرَّ المُسْلِمُونَ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً لَا مَجَازًا، وَهُوَ صِفَتُهُ، وَقَدْ عَدَّ الأَشْعَرِيُّ: صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى سَبْعَ عَشَرَةَ صِفَةً، وَبَيَّنَ أَنَّ مِنْهَا مَا لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِالسَّمْعِ، وَإِذَا جَازَ أَن يُوصَفَ بِصِفَاتٍ مَعْدُودَةٍ، لَمْ يَلْزَمْنَا بِدُخُولِ العَدَدِ فِي الحُرُوفِ شَيْءٌ»[1]. انْتَهَى كَلَامُ أَبِي نَصْرٍ.

❁ **قَالَ الشَّيْخُ الْمُوَفَّقُ فِي الاسْتِدْلَالِ**: إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَلَّمَ مُوسَى ﷺ، وَيُكَلِّمُ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا)، وَقَالَ تَعَالَى: (وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ)، قَالَ تَعَالَى: (يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي)، وَقَالَ تَعَالَى: (وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ).

وَأَجْمَعْنَا عَلَى أَنَّ مُوسَى ﷺ سَمِعَ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى مِنَ اللهِ، لَا مِنْ ذَاتِ الشَّجَرَةِ، وَلَا مِنْ حَجَرٍ، وَلَا غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ سَمِعَ مِنْ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى، كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَفْضَلَ فِي ذَلِكَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُمْ سَمِعُوا مِنْ أَفْضَلَ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْهُ مُوسَى؛ لِكَوْنِهِمْ سَمِعُوا مِنْ مُوسَى، فَلِمَ سُمِّيَ إِذَنْ كَلِيمَ الرَّحْمَنِ؟

وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ الكَلَامُ الَّذِي سَمِعَهُ مُوسَى إِلَّا صَوْتًا وَحَرْفًا، فَإِنَّه لَوْ كَانَ مَعْنًى فِي النَّفْسِ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ تَكْلِيمًا لِمُوسَى، وَلَا هُوَ شَيْءٌ يُسْمَعُ، وَلَا يُسَمَّى مُنَادَاةً.

---

(١) «رسالة لأبي نصر السجزي إلى أهل زبيد» (١٦٧). عمادة البحث بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

❁ فَإِن قَالُوا: «نَحْنُ لَا نُسَمِّيهِ صَوْتًا مَعَ كَوْنِهِ مَسْمُوعًا».

قُلْنَا الجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا مُخَالَفَةٌ فِي اللَّفْظِ مَعَ المُوَافَقَةِ فِي المَعْنَى، فَإِنَّا لَا نَعْنِي بِالصَّوْتِ إِلَّا مَا كَانَ مَسْمُوعًا.

ثَانِيهِمَا: أَنَّ لَفْظَ الصَّوْتِ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الأَخْبَارُ وَالآثَارُ، وَالنِّزَاعُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، أَمْ لَا؟ فَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ اتِّبَاعُ مَا وَرَدَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ(١). انْتَهَى كَلَامُ الشَّيْخِ المُوَفَّقِ.

❁ وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ البَارِي: قَالَ البَيْهَقِيُّ(٢): الكَلَامُ مَا يَنْطِقُ بِهِ المُتَكَلِّمُ، وَهُوَ مُسْتَقِرٌّ فِي نَفْسِهِ، كَمَا فِي كَلَامِ عُمَرَ فِي قِصَّةِ السَّقِيفَةِ، فَإِنْ كَانَ المُتَكَلِّمُ ذَا مَخَارِجَ سُمِعَ كَلَامُهُ ذَا حُرُوفٍ وَأَصْوَاتٍ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذِي مَخَارِجَ، فَهُوَ خِلَافُ ذَلِكَ، وَالبَارِي بِخِلَافِ ذَلِكَ، فَلَا يَكُونُ كَلَامُهُ كَذَلِكَ، وَأَوَّلَ مَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ: (أَنَّ المَلَائِكَةَ يَسْمَعُونَ عِنْدَ حُضُورِ الوَحْيِ صَوْتًا)(٣)، بِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الصَّوْتُ لِلسَّمَاءِ، أَوْ لِلْمَلَكِ الآتِي بِالوَحْيِ، أَوْ لِأَجْنِحَةِ المَلَائِكَةِ، وَإِذَا احْتُمِلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ نَصًّا فِي المَسْأَلَةِ(٤).

❁ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي رَدِّهِ: وَهَذَا حَاصِلُ كَلَامِ مَنْ نَفَى الصَّوْتَ مِنَ الأَئِمَّةِ،

(١) «الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم» لابن قدامة (٤٦). مكتبة الفرقان.

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي، بورك له في علمه، وصنف التصانيف النافعة، توفي سنة ٤٨٥هـ. «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ١٦٣. مؤسسة الرسالة.

(٣) تقدم معنى ذلك من حديث ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٤) «فتح الباري» لابن حجر ١٣/ ٤٥٧. دار المعرفة.

وَيَلْـزَمُ مِنْـهُ: أَنَّـهُ تَعَالَـى لَـمْ يُسْـمِعْ أَحَـدًا مِـنَ المَلَائِكَـةِ، وَلَا مِنْ رُسُـلِهِ كَلَامَـهُ، بَلْ أَلْهَمَهُـمْ إِيَّاهُ.

وَحَاصِلُ الاحْتِجَاجِ لِلنَّفْيِ: الرُّجُوعُ إِلَى القِيَاسِ عَلَى أَصْوَاتِ المَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّهَا الَّتِي عَهِدْنَاهَا، ذَاتَ مَخَارِجَ، وَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ، إِذِ الصَّوْتُ قَدْ يَكُونُ مِنْ غَيْرِ مَخَارِجَ، كَمَا أَنَّ الرُّؤْيَةَ قَدْ تَكُونُ مِنْ غَيْرِ اتِّصَالِ أَشِعَّةٍ.

سَـلَّمْنَا، لَكِـنْ يُمْنَـعُ القِيَـاسُ المَذْكُـورُ، وَصِفَـةُ الخَالِـقِ لَا تُقَـاسُ عَلَـى صِفَةِ المَخْلُـوقِ، وَإِذَا ثَبَـتَ ذِكْـرُ الصَّـوْتِ بِهَـذِهِ الأَحَادِيـثِ الصَّحِيحَـةِ، وَجَـبَ الإِيمَانُ بِهِ[١].

۞ **وَقَالَ فِي الفَتْحِ أَيْضًا:** قَوْلُهُ ﷺ: (ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ)[٢] حَمَلَهُ بَعْضُ الأَئِمَّةِ عَلَى مَجَازِ الحَذْفِ، أَيْ يَأْمُرُ مَنْ يُنَادِي، فَاسْتَبْعَدَهُ مَنْ أَثْبَتَ الصَّوْتَ، بِأَنَّ فِي قَوْلِهِ: (يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ) إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ المَخْلُوقَاتِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُ هَذَا فِيهِمْ، وَبِأَنَّ المَلَائِكَةَ إِذَا سَمِعُوهُ صَعِقُوا، وَإِذَا سَمِعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَمْ يَصْعَقُوا.

قَالَ: فَعَلَى هَذَا فَصَوْتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، لَا يُشْبِهُ صَوْتَ غَيْرِهِ؛ إِذْ لَيْسَ يُوجَدُ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِهِ فِي صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ.

قَالَ: وَهَكَذَا قَرَّرَهُ المُصَنِّفُ ـ يَعْنِي البُخَارِيَّ ـ فِي كِتَابِ خَلْقِ الأَفْعَالِ[٣]. انْتَهَى

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر ١٣/ ٤٥٨. دار المعرفة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا من حديث عبد الله بن أنيس ٩/ ١٤١، ووصله الإمام أحمد في مسنده ٢٥/ ٤٣١. مؤسسة الرسالة.

(٣) «فتح الباري» لابن حجر ١٣/ ٤٥٧. دار المعرفة.

۞ وَحَدُّ الصَّوْتِ: مَا يَتحقَّقُ سَمَاعُهُ، فَكُلُّ مُتَحقِّقٍ سَمَاعُهُ صَوْتٌ، وَكُلُّ مَا لَا يَتأَتَّى سَمَاعُهُ لَيْسَ بِصَوْتٍ.

۞ وَصِحَّةُ الحَدِّ كَوْنُهُ مُطَّرِدًا مُنْعَكِسًا.

۞ **وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: «إِنَّ الصَّوْتَ هُوَ الخَارِجُ مِنْ هَوَاءٍ بَيْنَ جِرْمَيْنِ»**؛ فَغَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ سَمَاعُ الصَّوْتِ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ، كَتَسْبِيحِ الأَحْجَارِ، وَتَسْبِيحِ الطَّعَامِ والجِبَالِ، وَشَهَادَةِ الأَيْدِي وَالأَرْجُلِ.

وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)، وَقَالَ تَعَالَى: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) وَمَا لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مُنْخَرَقٌ بَيْنَ جِرْمَيْنِ.

۞ وَقَدْ أَقَرَّ الأَشْعَرِيُّ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَالَتَا: (أَتَيْنَا طَائِعِينَ)[1] حَقِيقَةً لَا مَجَازًا.



(١) في بعدها (م): يعني على أنه.



فَصْلٌ ثَانٍ
فِي المَسْأَلَةِ المَشْهُورَةِ المُسَمَّاةِ بِمَسْأَلَةِ اللَّفْظِ

۞ قَالَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ ابْنُ حَجَرٍ فِي «فَتْحِ البَارِي» فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ فِي بَابِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا) مَا مُلَخَّصُهُ: وَاشْتَدَّ إِنْكَارُ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَى مَنْ قَالَ: «لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ»، وَيُقَالُ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَهُ الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الكَرَابِيسِيُّ [1]، أَحَدُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ بَدَّعَهُ وَهَجَرَهُ، ثُمَّ قَالَ بِذَلِكَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَصْبَهَانِيُّ [2]، رَأْسُ الظَّاهِرِيَّةِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِنَيْسَابُورَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الإِمَامَ أَحْمَدَ، فَلَمَّا قَدِمَ بَغْدَادَ لَمْ يَأْذَنْ لَهُ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ، وَجَمَعَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ أَسْمَاءَ مَنْ أَطْلَقَ عَلَى اللَّفْظِيَّةِ أَنَّهُمْ جَهْمِيَّةٌ، فَبَلَغُوا عَدَدًا كَثِيرًا، وَأَفْرَدَ فِي ذَلِكَ بَابًا فِي كِتَابِهِ: «الرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ».

وَالَّذِي يَتَحَصَّلُ مِنْ كَلَامِ المُحَقِّقِينَ، أَنَّهُمْ أَرَادُوا حَسْمَ المَادَّةِ صَوْنًا لِلْقُرْآنِ أَنْ يُوصَفَ بِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا، وَإِذَا حُقِّقَ الأَمْرُ عَلَيْهِمْ، لَمْ يُفْصِحْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِأَنَّ حَرَكَةَ لِسَانِهِ قَدِيمَةٌ.

(١) هو: الحسين بن علي بن يزيد أبو علي الكرابيسي، وكان عالمًا فقيهًا، وله تصانيف كثيرة في الفقه وفي الأصول، وكان الإمام أحمد يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ، وكان هو أيضًا يتكلم في أحمد. توفي سنة ٢٤٥هـ. «تاريخ بغداد» للبغدادي ٨/ ٦١١. دار الغرب الإسلامي.

(٢) هو: داود بن علي، أبو سليمان الأصبهاني البغدادي، الفقيه الظاهري، كان ناسكًا زاهدًا، منعه أحمد بن حنبل من الدخول عليه لقوله المعروف في القرآن، توفي سنة ٢٧٠هـ. «شذرات الذهب» لابن العماد ٣/ ٢٩٧. دار ابن كثير.

وَأَنْكَرَ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَلَى مَنْ نَقَلَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَفْظِي بِالقُرْآنِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ»، وَأَنْكَرَ عَلَى مَنْ قَالَ: «لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ»، وَقَالَ: «القُرْآنُ كَيْفَ تَصَرَّفَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ».

وَلَمَّا ابْتُلِيَ الإِمَامُ أَحْمَدَ بِمَنْ يَقُولُ: «القُرْآنُ مَخْلُوقٌ» كَانَ أَكْثَرُ كَلَامِهِ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى بَالَغَ فَأَنْكَرَ عَلَى مَنْ يَتَوَقَّفُ؛ فَلَا يَقُولُ: «مَخْلُوقٌ»، وَ: «لَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ» وَعَلَى مَنْ قَالَ: «لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ»؛ لِئَلَّا يَتَدَرَّعَ[1] بِذَلِكَ مَنْ يَقُولُ: «القُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ».

وَأَمَّا البُخَارِيُّ فَابْتُلِيَ بِمَنْ يَقُولُ: «أَصْوَاتُ العِبَادِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ»، حَتَّى بَالَغَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: «وَالمِدَادُ وَالوَرَقُ بَعْدَ الكِتَابَةِ» فَكَانَ أَكْثَرُ كَلَامِهِ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَبَالَغَ فِي الِاسْتِدْلَالِ بِأَنَّ أَفْعَالَ العِبَادِ كُلَّهَا مَخْلُوقَةٌ بالآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ، مَعَ أَنَّ قَوْلَ مَنْ قَالَ: «إِنَّ الَّذِي يُسْمَعُ مِنَ القَارِئِ هُوَ الصَّوْتُ القَدِيمُ» لَا يُعْرَفُ عَنِ السَّلَفِ، وَلَا قَالَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَلَا أَصْحَابُهُ.

وَإِنَّمَا سَبَبُ نِسْبَةِ ذَلِكَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ قَوْلُهُ: «مَنْ قَالَ لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ» فَظَنُّوا أَنَّهُ سَوَّى بَيْنَ اللَّفْظِ وَالصَّوْتِ، بَلْ صَرَّحَ فِي مَوَاضِعَ بِأَنَّ الصَّوْتَ المَسْمُوعَ مِنَ القَارِئِ هُوَ صَوْتُ القَارِئِ.

وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ اللَّفْظَ يُضَافُ إِلَى المُتَكَلِّمِ بِهِ ابْتِدَاءً، فَيُقَالُ عَمَّنْ رَوَى الحَدِيثَ بِلَفْظِهِ: «هَذَا لَفْظُهُ»، وَلِمَنْ رَوَاهُ بِغَيْرِ لَفْظِهِ: «هَذَا مَعْنَاهُ»، وَلَفْظُهُ كَذَا، وَلَا يُقَالُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ: «هَذَا صَوْتُهُ»، فَالقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ لَيْسَ هُوَ كَلَامَ غَيْرِهِ.

---

(١) في (م): يتدرج.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) فَاخْتُلِفَ فِيهِ: هَلِ المُرَادُ جِبْرِيلُ، أَوْ الرَّسُولُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ فَالمُرَادُ بِهِ التَّبْلِيغُ؛ لِأَنَّ جِبْرِيلَ مُبَلِّغٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى إِلَى الرَّسُولِ، وَالرَّسُولُ مُبَلِّغٌ لِلنَّاسِ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ قَطُّ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ فِعْلَ العَبْدِ قَدِيمٌ وَلَا صَوْتُهُ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ إِطْلَاقَ اللَّفْظِ.

وَصَرَّحَ البُخَارِيُّ بِأَنَّ أَصْوَاتَ العِبَادِ مَخْلُوقَةٌ، وَأَنَّ الإِمَامَ أَحْمَدَ لَا يُخَالِفُهُ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَهْلُ العِلْمِ كَرِهُوا التَّنْقِيبَ عَنِ الأَشْيَاءِ الغَامِضَةِ، وَتَجَنَّبُوا الخَوْضَ فِيهَا وَالتَّنَازُعَ، إِلَّا مَا بَيَّنَهُ الرَّسُولُ عليه الصلاة والسلام.

وَمَنْ شِدَّةِ اللَّبْسِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، كَثُرَ نَهْيُ السَّلَفِ عَنِ الخَوْضِ فِيهَا، وَاكْتَفَوا بِاعْتِقَادِ أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَمْ يَزِيدُوا عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، وَهُوَ أَسْلَمُ الأَقْوَالِ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ[1].



(١) «فتح الباري» لابن حجر ١٣/ ٤٩٢. دار المعرفة.

تَتِمَّاتٌ

۞ **الأُولَى**: إِنَّ مَا نَقَلَهُ **السَّعْدُ** فِي كَلَامِهِ عَلَى «**عَقَائِدِ النَّسَفِيِّ**»، مِنْ نِسْبَتِهِ إِلَى الحَنَابِلَةِ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ عَرَضٌ مِنْ جِنْسِ الأَصْوَاتِ وَالحُرُوفِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَدِيمٌ[١].

۞ **وَفِي مَحَلٍّ آخَرَ**: أَنَّ المُؤَلَّفَ مِنَ الأَصْوَاتِ وَالحُرُوفِ قَدِيمٌ، وَنَسَبَهُمْ إِلَى الجَهْلِ وَالعِنَادِ[٢].

۞ **وَأَيْضًا**: مَا يَنْسُبُهُ بَعْضُ النَّاسِ لِلْحَنَابِلَةِ مِنْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِقِدَمِ الوَرَقِ وَالجِلْدِ وَالمِدَادِ[٣].

فَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ: أَنَّ مَا نُسِبَ إِلَيْهِمْ مِنَ هَذِهِ المَقَالَاتِ لَا أَصْلَ لَهُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَوْ كَانَ لَهُ أَصْلٌ لَعُثِرَ عَلَيْهِ، وَكَيْفَ يَتَأَتَّى مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمُ القَوْلُ بِهِ، مَعَ أَنَّهُم فِي أَعْلَى طَبَقَاتِ الوَرَعِ فِي تَتَبُّعِ مَذْهَبِ إِمَامِهِمْ، وَاعْتِقَادِهِمْ مَذْهَبَ السَّلَفِ، وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَكَيْفَ يُظَنُّ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ حَرَّفَ شَيْئًا وَنَسَبَهُ إِلَى إِمَامِهِ، مَعَ أَنَّ هَذَا الظَّنَّ لَا يَجُوزُ بِأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَضْلًا عَنْ هَؤُلَاءِ السَّادَةِ.

۞ **فَإِنْ قِيلَ**: «لَعَلَّ مَا نُقِلَ مِنْ كُتُبِهِمْ مَدْسُوسٌ عَلَيْهِمْ».

---

(١) «شرح العقائد النسفية» للسعد التفتازاني (٤٩). دار الهدى الجزائر.

(٢) المرجع السابق (٥١). دار الهدى الجزائر.

(٣) قال الشيخ عبد الغني اللَّبدي ١٣١٧هـ ـ شيخ رواق الحنابلة في الأزهر الشريف ـ في تعليقاته على «المنهج الأحمد»: «ما يُنقلُ عن من لا معرفة له بالعلم، ولاحظَّ له في الفقه والفهم، من نسبتهم الحنابلة إلى: (التجسيم)، وقولهم: (بقدم ورق المصحف ومداده وجلده) ونحو ذلك؛ مما تقشعر منه الجلودُ، ولا يفتريه إلا ماكرٌ خبيثٌ حسود». (٣٣). دار الرياحين.

فَالجَوَابُ: أَنَّ فَتْحَ هَذَا البَابِ بِدْعَةٌ شَنِيعَةٌ؛ لِأَنَّ المَطْلُوبَ مِنَ النَّاقِلِ تَصْحِيحُ النَّقْلِ، بِكَوْنِ كِتَابِهِ مُقَابَلًا عَلَى أَصْلٍ صَحِيحٍ.

۞ وَأَيْضًا، يَتَطَرَّقُ هَذَا الظَّنُّ فِي بَقِيَّةِ كُتُبِ المُسْلِمِينَ، عَلَى أَنَّ مُعْظَمَ اعْتِمَادِنَا فِيمَا نَقَلْنَاهُ مِنْ أُصُولِنَا وَفُرُوعِنَا، مُتَّصِلٌ فِي جَمِيعِ الأَعْصَارِ، مُنْذُ الإِمَامِ أَحْمَدَ إِلَى زَمَنِنَا هَذَا، مُتَوَاتِرٌ نَقَلَهُ جَمْعٌ عَنْ جَمْعٍ.

۞ الثَّانِيَةُ: قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: وَالَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْه قَوْلُ الأَشْعَرِيَّةِ، أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مَكْتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَقْرُوءٌ بِالأَلْسِنَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: (لَا تُسَافِرُوا بِالقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ العَدُو كَرَاهَةَ أَنْ يَنَالَهُ العَدُوُّ)(١).

وَلَيْسَ المُرَادُ مَا فِي الصُّدُورِ، بَلْ مَا فِي المُصْحَفِ، وَأَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَى أَنَّ الَّذِي بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى(٢). انْتَهَى

۞ وَقَالَ صَاحِبُ «المَوَاقِفِ»(٣) فِي أَثْنَاءِ خُطْبَتِهِ: «وَقُرْآنًا قَدِيمًا ذَا غَايَاتٍ وَمَوَاقِفَ، مَحْفُوظًا فِي القُلُوبِ، مَقْرُوءًا بِالأَلْسُنِ، مَكْتُوبًا فِي المَصَاحِفِ»(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٨/ ٩٩. مؤسسة الرسالة، ومسلم ٦/ ١٤٩١. دار إحياء التراث العربي، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) «فتح الباري» لابن حجر ١٣/ ٤٩٣. دار المعرفة.

(٣) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي، قاضي القضاة عضد الدين الشيرازي، كان إمامًا في المعقولات عارفًا بالأصلين والمعاني والبيان والنحو، غضب عليه صاحب كرمان فحبسه بها فاستمر محبوسًا إلى أن مات سنة ٧٥٦هـ. «طبقات الشافعية» للسبكي ١٠/ ٤٦. دار هجر.

(٤) «المواقف في علم الكلام» للإيجي (٣). دار عالم الكتب.

۞ وَقَالَ السَّيِّدُ[١] فِي «شَرْحِهِ»: (وَصَفَ القُرْآنَ بِالقِدَمِ)، ثُمَّ صَرَّحَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ؛ هَذِهِ العِبَارَاتُ المَنْظُومَةُ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ، حَيْثُ قَالُوا: إِنَّ الحِفْظَ وَالقِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ حَادِثَةٌ، لَكِنْ مُتَعَلَّقُهَا، أَعْنِي: المَحْفُوظَ وَالمَقْرُوءَ قَدِيمٌ.

وَمَا يُتَوَهَّمُ مِنْ أَنَّ تَرْتِيبَ الكَلِمَاتِ وَالحُرُوفِ، وَعُرُوضَ الانْتِهَاءِ، وَالوُقُوفِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الحُدُوثِ، فَبَاطِلٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لِقُصُورٍ فِي آلاتِ القِرَاءَةِ.

وَأَمَّا مَا اشْتَهَرَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ: مِنْ أَنَّ القَدِيمَ مَعْنًى قَائِمٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، قَدْ عُبِّرَ عَنْهُ بِهَذِهِ العِبَارَاتِ الحَادِثَةِ.

فَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ غَلَطٌ مِنَ النَّاقِلِ، مَنْشَؤُهُ اشْتِرَاكُ لَفْظِ: (المَعْنَى) بَيْنَ مَا يُقَابِلُ اللَّفْظَ، وَبَيْنَ مَا يَقُومُ بِغَيْرِهِ، وَيَزْدَادُ ذَلِكَ وُضُوحًا فِيمَا بَعْدُ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى[٢].

۞ ثُمَّ قَالَ فِي الإِلَهِيَّاتِ: وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْمُصَنِّفِ مَقَالَةً مُفْرَدَةً فِي تَحْقِيقِ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى، عَلَى وَفْقِ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي خُطْبَةِ الكِتَابِ، وَمَحْصُولُهَا: أَنَّ لَفْظَ (المَعْنَى) يُطْلَقُ تَارَةً عَلَى مَدْلُولِ اللَّفْظِ، وَأُخْرَى عَلَى الأَمْرِ القَائِمِ بِالغَيْرِ.

فَالشَّيْخُ الأَشْعَرِيُّ لَـمَّا قَالَ: الكَلَامُ هُوَ المَعْنَى النَّفْسِيُّ، فَهِمَ الأَصْحَابُ مِنْهُ أَنَّ مُرَادَهُ مَدْلُولُ اللَّفْظِ وَحْدَهُ، وَهُوَ القَدِيمُ عِنْدَهُ.

وَأَمَّا العِبَارَاتُ فَإِنَّمَا[٣] تُسَمَّى كَلَامًا مَجَازًا، لِدَلَالَتِهَا عَلَى مَا هُوَ كَلَامٌ حَقِيقِيٌّ، حَتَّى صَرَّحُوا بِأَنَّ الأَلْفَاظَ حَادِثَةٌ عَلَى مَذْهَبِهِ أَيْضًا لَكِنَّهَا لَيْسَتْ كَلَامَهُ حَقِيقَةً.

---

(١) هو: علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسيني الحنفي صاحب المؤلفات الحافلة منها: شرح المواقف، وحاشية البيضاوي. توفي سنة ٨١٦هـ. «ديوان الإسلام» للغزي ٣/ ٢٥. دار الكتب العلمية.

(٢) «شرح المواقف» للجرجاني ١/ ٢٥. دار الكتب العلمية.

(٣) في (م) و(ج): فإنها.

وَهَذَا الَّذِي فَهِمُوهُ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ، لَهُ لَوَازِمُ كَثِيرَةٌ فَاسِدَةٌ: كَعَدَمِ إِكْفَارِ مَنْ أَنْكَرَ كَلَامِيَّةَ مَا بَيْنَ دَفَّتَي المُصْحَفِ، مَعَ أَنَّهُ عُلِمَ مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةً كَوْنُهُ كَلَامَ اللهِ حَقِيقَةً، وَكَعَدَمِ كَوْنِ المُعَارَضَةِ وَالتَّحَدِّي بِكَلَامِ اللهِ تَعَالَى الحَقِيقِيِّ، وَكَعَدَمِ كَوْنِ المَقْرُوءِ والمَحْفُوظِ كَلَامَهُ حَقِيقَةً، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى المُتَفَطِّنِ فِي الأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ.

فَوَجَبَ حَمْلُ كَلَامِ الشَّيْخِ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ المَعْنَى الثَّانِي، فَيَكُونُ الكَلَامُ النَّفْسِيُّ عِنْدَهُ أَمْرًا شَامِلًا لِلَّفْظِ وَالمَعْنَى جَمِيعًا، قَائِمًا بِذَاتِهِ تَعَالَى، وَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ، مَقْرُوءٌ بِالأَلْسُنِ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، وَهُوَ غَيْرُ الكِتَابَةِ، وَالقِرَاءَةِ، وَالحِفْظِ، الحَادِثَةِ.

❁ **وَمَا يُقَالُ: مِنْ أَنَّ الحُرُوفَ وَالأَلفَاظَ مُتَرَتِّبَةٌ مُتَعَاقِبَةٌ:**

فَجَوَابُهُ: إِنَّ ذَلِكَ التَّرَتُّبَ إِنَّمَا هُوَ فِي التَّلَفُّظِ، بِسَبَبِ عَدَمِ مُسَاعَدَةِ الآلَةِ، فَالتَّلَفُّظُ حَادِثٌ، وَالأَدِلَّةُ الدَّالَّةُ عَلَى الحُدُوثِ يَجِبُ حَمْلُهَا عَلَى حُدُوثِهِ دُونَ حُدُوثِ المَلْفُوظِ، جَمْعًا بَيْنَ الأَدِلَّةِ.

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا لِـمَا عَلَيْهِ مُتَأَخِّرُو أَصْحَابِنَا، إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ التَّأَمُّلِ تُعْرَفُ حَقِيقَتُهُ. تَمَّ كَلَامُهُ

❁ وَهَذَا المَحْمَلُ لِكَلَامِ الشَّيْخِ هُوَ مَا اخْتَارَهُ **مُحَمَّدٌ الشَّهْرِسْتَانِيُّ**[(١)] فِي كِتَابِهِ المُسَمَّى: بِـ «**نِهَايَةِ الإِقْدَامِ**»، وَلَا شُبْهَةَ فِي أَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الأَحْكَامِ الظَّاهِرَةِ المَنْسُوبَةِ إِلَى قَوَاعِدِ المِلَّةِ[(٢)]. انْتَهَى

---

(١) هو: محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، صاحب كتاب الملل والنِّحَل كان إمامًا مبرزًا فقيهًا متكلمًا، توفي سنة ٥٤٨هـ. «طبقات الشافعية» للسبكي ٦/ ١٢٨. دار هجر.

(٢) «شرح المواقف» للجرجاني ٨/ ١١٦. دار الكتب العلمية.

۞ فَالَّذِي ظَهَرَ مِنْ عِبَارَةِ **ابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ**، وَ«**شَرْحِ المَوَاقِفِ**»، مُوَافَقَةُ الشَّيْخِ الأَشْعَرِيِّ لِلإِمَامِ أَحْمَدَ فِي مَسْأَلَةِ الكَلَامِ، وَأَنَّ مَا رُوِيَ عَنْهُ مُخَالِفًا لِذَلِكَ فَهُوَ غَلَطٌ مِنَ النَّاقِلِ، مَنْشَؤُهُ مَا سَبَقَ.

۞ **وَقَدْ أَتَى التَّاجُ السُّبْكِيُّ فِي «الطَّبَقَاتِ»** بِأَصْرَحَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الأَشْعَرِيِّ: وَأَمَّا مَا قِيلَ: إِنَّ مَذْهَبَهُ أَنَّ القُرْآنَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، وَلَيْسَ القُرْآنُ فِي المُصْحَفِ عِنْدَهُ، فَهَذَا تَشْنِيعٌ فَظِيعٌ، وَتَلْبِيسٌ عَلَى العَوَامِّ.

فَإِنَّ الأَشْعَرِيَّ وَكُلَّ مُسْلِمٍ غَيْرِ مُبْتَدِعٍ يَقُولُ: إِنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، وَهُوَ عَلَى الحَقِيقَةِ مَكْتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ، لَا عَلَى المَجَازِ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ القُرْآنَ لَيْسَ فِي المَصَاحِفِ، عَلَى هَذَا الإِطْلَاقِ، فَهُوَ مُخْطِئٌ، بَلِ القُرْآنُ مَكْتُوبٌ فِي المُصْحَفِ، وَهُوَ قَدِيمٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، لَمْ يَزَلْ سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمًا، وَلَا يَزَالُ بِهِ قَائِمًا، وَلَا يَجُوزُ انْفِصَالُ القُرْآنِ عَنْ ذَاتِ اللهِ تَعَالَى، وَلَا الحُلُولُ فِي المَحَالِّ، وَكَوْنُ الكَلَامِ مَكْتُوبًا عَلَى الحَقِيقَةِ فِي الكِتَابِ، لَا يَقْتَضِي حُلُولَهُ فِيهِ، وَلَا انْفِصَالَهُ عَنْ ذَاتِ المُتَكَلِّمِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ**﴾ فَالنَّبِيُّ ﷺ عَلَى الحَقِيقَةِ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، وَكَذَلِكَ القُرْآنُ عَلَى الحَقِيقَةِ مَكْتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ، مَحْفُوظٌ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ، مَقْرُوءٌ مَتْلُوٌّ عَلَى الحَقِيقَةِ، بِأَلْسِنَةِ القَارِئِينَ مِنَ المُسْلِمِينَ، كَمَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلَى الحَقِيقَةِ، لَا عَلَى المَجَازِ، مَعْبُودٌ فِي مَسَاجِدِنَا، مَعْلُومٌ فِي قُلُوبِنَا، مَذْكُورٌ بِأَلْسِنَتِنَا، وَهَذَا وَاضِحٌ بِحَمْدِ اللهِ، وَمَنْ زَاغَ عَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فَهُوَ قَدَرِيٌّ مُعْتَزِلِيٌّ، يَقُولُ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَأَنَّهُ حَالٌّ فِي المُصْحَفِ، نَظِيرَ مَا قَالُوا: إِنَّهُ لَمَّا أَسْمَعَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَلَامَهُ خَلَقَ كَلَامَهُ فِي الشَّجَرَةِ، وَهَذِهِ مِنْ فَظَائِعِ المُعْتَزِلَةِ، الَّتِي لَا يَخْفَى

فَسَادُهَا عَلَى مُحَصِّلٍ[١]. انْتَهَى كَلَامُ السُّبْكِيِّ.

❁ **وَمَا قِيلَ**: مِنْ أَنَّ مُنْكِرَ كَلَامِيَّةِ مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، إِنَّمَا يُكَفَّرُ إِذَا قَالَ: إِنَّهُ مِنَ المُخْتَرَعَاتِ البَشَرِيَّةِ، وَأَمَّا إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّهُ مِنْ مُبْتَدَعَاتِ اللهِ تَعَالَى، وَدَالٌّ عَلَى مَا هُوَ كَلَامُهُ حَقِيقَةً، وَقَائِمٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ صِفَةً قَائِمَةً بِذَاتِهِ تَعَالَى؛ فَلَا يُكَفَّرُ أَصْلًا، فَخِلَافُ الظَّاهِرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الشَّارِعَ يَحْكُمُ بِكُفْرِ مُنْكِرِهِ حَالًا، مِنْ غَيْرِ اسْتِفْسَارٍ لَهُ عَن مُرَادِهِ، فَإِنَّ نَفْيَ هَذَا الإِطْلَاقِ خِلَافُ مَا عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الإِسْلَامِ، وَخِلَافُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الشَّرْعُ، وَالعَقْلُ كَمَا نَقَلَهُ **الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ الفُتُوحِيُّ**[٢].

❁ **الثَّالِثَةُ**: قَدْ نُقِلَ عَنِ **المُلَّا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الجَامِيِّ**، فِي كِتَابِهِ: «**الدُّرَّةِ الفَاخِرَةِ**» المُسَمَّاةِ بـ: «حُطَّ رَحْلَكَ»[٣]، مَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الخِلَافَ بَيْنَ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الكَلَامَ هُوَ الحُرُوفُ وَالأَصْوَاتُ، وَمَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ الكَلَامُ النَّفْسِيُّ القَائِمُ بِذَاتِهِ تَعَالَى لَفْظِيٌّ، فَقَالَ: وَاعْلَمْ أَنَّ هَاهُنَا **قِيَاسَيْنِ مُتَعَارِضَيْنِ**:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى صِفَةٌ لَهُ، وَكُلُّ مَا هُوَ صِفَةٌ لَهُ فَهُوَ قَدِيمٌ، فَكَلَامُهُ قَدِيمٌ.

وَثَانِيهِمَا: أَنَّ كَلَامَ اللهِ مُؤَلَّفٌ مِنْ أَجْزَاءٍ مُتَرَتِّبَةٍ مُتَعَاقِبَةٍ، وَكُلُّ مَا هُوَ كَذَلِكَ فَهُوَ حَادِثٌ، فَكَلَامُ اللهِ سُبْحَانَهُ حَادِثٌ.

---

(١) «طبقات الشافعية» للسبكي ٣/ ٤١٧. دار هجر.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفُتُوحي شيخ الحنابلة في مصر له مؤلفات منها: منتهى الإرادات، الكوكب المنير، توفي ٩٧٢هـ. «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» لابن حميد ٣/ ٨٥٤. مؤسسة الرسالة.

(٣) قال ابن العماد: «وتسمية أهل اليمن (حُطَّ رحلك) إشارة إلى أنه كتاب تُحطُّ الرحال عنده»، «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ٩/ ٥٤٣. دار ابن كثير.

فَافْتَرَقَ المُسْلِمُونَ إِلَى أَرْبَعِ فِرَقٍ:

فِرْقَتَانِ مِنْهُمْ ذَهَبُوا إِلَى صِحَّةِ القِيَاسِ الأَوَّلِ.

وَقَدَحَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا فِي صُغْرَى القِيَاسِ الثَّانِي.

وَقَدَحَتِ الأُخْرَى فِي كُبْرَاهُ.

وَفِرْقَتَانِ أُخْرَيَانِ ذَهَبُوا إِلَى صِحَّةِ القِيَاسِ الثَّانِي، وَقَدَحُوا فِي إِحْدَى مُقَدِّمَتَيِ الأَوَّلِ.

ثُمَّ ذَكَرَ كَيْفِيَّةَ قَدْحِهِمْ بِاعْتِبَارِ مَذَاهِبِهِمْ، فَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَلْيُرَاجِعْهُ[١].

۞ ثُمَّ قَالَ[٢]: وَفِي «**الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ**» أَنَّ المَفْهُومَ مِنْ كَوْنِ القُرْآنِ حُرُوفًا، **أَمْرَانِ**:

الأَمْرُ الوَاحِدُ: المُسَمَّى: قَوْلًا، وَكَلَامًا، وَلَفْظًا.

وَالأَمْرُ الآخَرُ: يُسَمَّى: كِتَابَةً، وَرَقْمًا، وَخَطًّا.

وَالقُرْآنُ يُخَطُّ فَلَهُ حُرُوفُ الرَّقْمِ، وَيُنْطَقُ بِهِ، فَلَهُ حُرُوفُ اللَّفْظِ، فَلِمَا يَرْجِعُ إِلَى كَوْنِهِ حُرُوفًا مَنْطُوقًا بِهَا؟ هَلْ[٣] لِكَلَامِ اللهِ الَّذِي هُوَ صِفَةٌ لَهُ، أَو لِلْمُتَرْجِمِ عَنْهُ؟.

فَاعْلَمْ: أَنَّهُ قَدْ أَخْبَرَنَا نَبِيُّهُ ﷺ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَجَلَّى فِي القِيَامَةِ بِصُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ فَيُعْرَفُ وَيُنْكَرُ، وَمَنْ كَانَتْ حَقِيقَتُهُ تَقْبَلُ التَّجَلِّيَ، لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الكَلَامُ بِالحُرُوفِ المُتَلَفَّظِ بِهَا المُسَمَّاةِ: كَلَامَ اللهِ لِبَعْضِ تِلْكَ الصُّوَرِ، كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، كَذَلِكَ نَقُولُ: تَكَلَّمَ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ[٤].

(١) «الدرة الفاخرة» للملا جامي (٣٦). مكتبة الثقافة الدينية.

(٢) مازال الكلام متصلاً للملا جامي.

(٣) في (ر): وهي، و(ج): هي كلام الله.

(٤) «الدرة الفاخرة» للملا جامي (٣٩). مكتبة الثقافة الدينية.

۞ وَقَالَ أَيْضًا بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: فَإِذَا تَحَقَّقْتَ مَا قَرَّرْنَاهُ، ثَبَتَ لَكَ أَنَّ كَلَامَ اللهِ هَذَا هُوَ المَتْلُوُّ المَسْمُوعُ المُتَلَفَّظُ بِهِ، المُسَمَّى: قُرْآنًا، وَتَوْرَاةً، وَزَبُورًا، وَإِنْجِيلًا[١]. انْتَهَى كَلَامُ الشَّيْخِ الأَكْبَرِ.

۞ فَالَّذِي ظَهَرَ[٢]: أَنَّ الكَلَامَ الَّذِي هُوَ صِفَتُهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ سِوَى إِفَادَةِ وَإِفَاضَةِ مَكْنُونَاتِ عِلْمِهِ عَلَى مَنْ يُرِيدُ إِكْرَامَهُ، وَأَنَّ الكُتُبَ المُنْزَلَةَ المَنْطُوقَةَ مِنْ حُرُوفٍ وَكَلِمَاتٍ كَالقُرْآنِ وَأَمْثَالِهِ، أَيْضًا كَلَامُهُ، لَكِنَّهَا مِنْ بَعْضِ صُوَرِ تِلْكَ الإِفَادَةِ وَالإِفَاضَةِ، ظَهَرَتْ بِتَوَسُّطِ العِلْمِ وَالإِرَادَةِ وَالقُدْرَةِ فِي البَرْزَخِ، الجَامِعِ بَيْنَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، بِمَعْنى[٣] عَالمِ المِثَالِ، مِنْ بَعْضِ مَجَالِيهِ للصُّورَةِ المِثَالِيَّةِ، كَمَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ.

فَالقِيَاسَانِ المَذْكُورَانِ فِي صَدْرِ المَبْحَثِ[٤] لَيْسَا بِمُتَعَارِضَيْنِ فِي الحَقِيقَةِ.

فَإِنَّ المُرَادَ بِالكَلَامِ فِي القِيَاسِ الأَوَّلِ: الصِّفَةُ القَائِمَةُ بِذَاتِهِ تَعَالَى.

وَفِي الثَّانِي: مَا ظَهَرَ فِي البَرْزَخِ مِنْ بَعْضِ المَجَالِي الإِلَهِيَّةِ، وَالِاخْتِلَافُ الوَاقِعُ بَيْنَ فِرَقِ المُسْلِمِينَ يُشْعِرُ بِعَدَمِ الفَرْقِ بَيْنَ الكَلَامَيْنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[٥].

۞ **الرَّابِعَةُ**: فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ قَدَّمْتَ فِيمَا نَقَلْتَهُ عَنِ **الشَّيْخِ المُوَفَّقِ** مِنْ كَلَامِ السَّلَفِ مِنْ ذَمِّ الِاشْتِغَالِ بِعِلْمِ الكَلَامِ، وَنَرَاكَ قَدْ أَلَّفْتَ فِيهِ.

قُلْتُ الجَوَابُ: أَنَّ المَذْمُومَ مِنْهُ مَا كَانَ غَيْرَ مَأْخُوذٍ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، بَلْ

(١) «الفتوحات المكية» لابن عربي ٥/ ١٤٠. دار الكتب العلمية.

(٢) مازال الكلام متصلاً للملا جامي.

(٣) في (م): بمنزلة، وأشار في هامشها إلى أنه في نسخه: بمعنى.

(٤) في النسخ: (البحث)، والمثبت من (م) وهو موافق للمطبوع.

(٥) «الدرة الفاخرة» للملا جامي (٤١). مكتبة الثقافة الدينية.

كَانَ بِمَحْضِ الأَقْيِسَةِ، وَقَدْ قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ، وَالاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَتَرْكُ البِدَعِ، إِذْ كُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ، وَتَرْكُ الخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ، وَاتِّبَاعُ السُّنَّةِ وَآثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاتِّبَاعُ القُرْآنِ، وَلَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا تُضْرَبُ لَهَا الأَمْثَالُ، وَلَا تُدْرَكُ بِالعُقُولِ، أَوْ قَالَ: بِالمَعْقُولِ وَلَا بِالأَهْوَاءِ، إِنَّمَا هُوَ الاِتِّبَاعُ وَتَرْكُ الهَوَى. انْتَهَى

۞ فَعَلَى هَذَا، إِنَّ كُلَّ مَنِ اشْتَغَلَ بِبَيَانِ مَا جَاءَ عَنِ السَّلَفِ، وَلَمْ يُؤَوِّلْ، وَلَمْ يُعَطِّلْ، وَلَمْ يُشَبِّهْ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلِ الأَقْيِسَةَ، وَآرَاءَ الرِّجَالِ المُزْخَرَفَةَ بِالأَقْوَالِ، لَا يُقَالُ: إِنَّهُ اشْتَغَلَ بِالمَذْمُومِ مِنْ عِلْمِ الكَلَامِ.

۞ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ كَلَامًا مَعْنَاهُ: «قِفْ حَيْثُ وَقَفَ القَوْمُ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَاقِدٍ كَفُّوا، وَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى، وَبِالفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا كَانُوا أَحْرَى، فَلَئِنْ حَدَثَ بَعْدَهُمْ رَأْيٌ، فَمَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي، لَقَدْ قَصُرَ عَنْهُم قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فغَلَوْا، وَإِنَّهُم فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى».

۞ وَلِهَذَا قَالَ مَالِكُ لَـمَّا سُئِلَ عَنِ الاِسْتِوَاءِ فَقَالَ: «الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ».

۞ **الخَامِسَةُ**: قَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الحَنَابِلَةِ فِي عَقِيدَتِهِ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا الحَسَنِ الأَشْعَرِيَّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، مُعْتَقِدٌ وَمُؤْتَمٌّ وَمُوَافِقٌ لِلإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فِي اعْتِقَادِهِ المُوَافِقِ لِاعْتِقَادِ السَّلَفِ، مِنْ حَيْثُ إِجْرَائِهِ المُتَشَابِهَ عَلَى مَا قَالَهُ اللهُ مِنْ غَيْرِ تَصَرُّفٍ.

۞ **فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ مَا نَصُّهُ**: «وَأَمَّا أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ وَأَصْحَابُهُ مِنْهُمْ أَبُو الحَسَنِ

عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَشْعَرِيُّ المتَكَلِّمُ، صَاحِبُ الطَّرِيقَةِ المَنْسُوبَةِ إِلَيْهِ قَالَ: «**فَصْلٌ**، فِي إِبَانَةِ قَوْلِ الحَقِّ وَالسُّنَّةِ:

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: قَدْ أَنْكَرْتُمْ قَوْلَ المُعْتَزِلَةِ، وَالقَدَرِيَّةِ، وَالجَهْمِيَّةِ، وَالحَرُورِيَّةِ، وَالرَّافِضَةِ، وَالمُرْجِئَةِ، فَعَرِّفُونَا قَوْلَكُمْ الَّذِي بِهِ تَقُولُونَ، وَدِيَانَتَكُمُ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ.

قِيلَ لَهُ: قَوْلُنَا: الَّذِي نَقُولُ بِهِ، وَدِيَانَتُنَا الَّتِي نَدِينُ اللهَ بِهَا: التَّمَسُّكُ بِكِتَابِ رَبِّنَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا، وَمَا رُوِيَ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَأَئِمَّةِ الحَدِيثِ، وَنَحْنُ بِذَلِكَ مُعْتَصِمُونَ، وَبِمَا كَانَ يَقُولُ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ نَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ، وَأَجْزَلَ مَثُوبَتَهُ قَائِلُونَ، وَلِـمَنْ خَالَفَ قَوْلَهُ مُخَالِفُونَ؛ لِأَنَّهُ الإِمَامُ الفَاضِلُ، وَالبَاسِقُ[١] الكَامِلُ، الَّذِي أَبَانَ اللهُ بِهِ الحَقَّ عِنْدَ ظُهُورِ الضَّلَالِ، وَأَوْضَحَ بِهِ المِنْهَاجَ، وَقَمَعَ بِهِ بِدَعَ المُبْتَدِعِينَ، وَزَيْغَ الزَّائِغِينَ، وَشَكَّ الشَّاكِّينَ، فَرَحْمَةُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ إِمَامٍ مُقَدَّمٍ، وَجَلِيلٍ مُعَظَّمٍ، وَكَبِيرٍ مُفَهَّمٍ[٢].

وَجُمْلَةُ قَوْلِنَا: بِأَنَّـا نُـقِرُّ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَبِمَا جَاؤُوا بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، وَبِمَا رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا نَرُدُّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا... **إِلَى أَنْ قَالَ**: وَأَنَّ اللهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ كَمَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، وَنَقُولُ فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ بِالرَّدِّ إِلَى كِتَابِ رَبِّنَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا، وَإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ.

فَـإِنْ قَـالَ قَائِـلٌ: مَـا تَقُولُونَ فِـي الِاسْـتِوَاءِ؟ قِيلَ لَـهُ: إِنَّ اللهَ مُسْـتَوٍ عَلَى عَرْشِـهِ كَمَـا قَـالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، وَالمُبْطِـلُ لِتَأْوِيـلِ مَنْ تَـأَوَّلَ اسْـتَوَى بِمَعْنَى اسْـتَوْلَى، أَنَّ هَـذَا تَفْسِـيرٌ لَـمْ يُفَسِّـرْهُ أَحَـدٌ مِنَ السَّـلَفِ، مِـنْ سَـائِرِ المُسْـلِمِينَ، مِنَ

---

(١) في (ت): السابق، وأشار في الهامش إلى أنه في نسخة: الباسق.

(٢) في (ر)، (ت) و(ج): مفخم، وفي هامش (م) أشار إلى أنه في نسخة: مفخم

الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، بَلْ أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ الجَهْمِيَّةُ وَالمُعْتَزِلَةُ[١].

۞ كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ فِي كِتَابِ: «**المَقَالَاتِ**»، وَكِتَابِ: «**الإِبَانَةِ**»، فَإِنَّهُ كَانَ مَعْلُومًا لِلسَّلَفِ عِلْمًا ظَاهِرًا، فَيَكُونُ التَّفْسِيرُ المُحْدَثُ بَاطِلًا، وَلِهَذَا قَالَ مَالِكٌ: «الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ»، وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَالكَيْفُ مَجْهُولٌ» فَالجَهْلُ بِالكَيْفِ لَا يَنْفِي عِلْمَ مَا قَدْ عُلِمَ أَصْلُهُ، كَمَا نُقِرُّ بِاللهِ وَنُؤْمِنُ بِهِ وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ.

أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فِي بَعْضِ رَسَائِلِهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ[٢].

---

(١) «الإبانة عن أصول الديانة» للإمام الأشعري (٢٠). تحقيق د. فوقية محمود دار الأنصار.

(٢) جاء في آخر النسخة:

(أ): وكان الفراغ من نسخها وكتابتها أواخر شعبان سنة ١٠٨٦هـ على يد العبد الضعيف الفقير عبدالرحيم مصطفى الصيرفي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين.

(ر): صورة تاريخ مؤلفه تم الكتاب بعون الملك الوهاب ضحوة الجمعة لثلاثة أيام خلت من شهر صفر الذي هو من شهور سنة واحد وتسعين وألف وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه من كل فاضل أمجد وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا من غير نهاية ولا عدد وكان الفراغ من كتابة هذه الرسالة المباركة نهار السبت يوم خمس وعشرين خلت من ربيع الأول سنة ١١١٤هـ على يد أفقر عباد الله إليه رشيد النجدي الحنبلي غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين.

وفي (م): والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا ورضي الله عن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين قد فرغت من تحرير هذه الرسالة المباركة نهار الاثنين آخر شهر ذي الحجة المبارك الذي هو من شهور سنة ١٢٠٨ من الهجرة النبوية على صحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم غفر الله لمؤلفها وكاتبها وقارئها ولكل المسلمين أجمعين والحمد لله رب العالمين.

وفي (ت): صورة تاريخ مؤلفه تم الكتاب بعون الملك الوهاب ضحوة الجمعة لثلاثة أيام خلت من شهر صفر الذي هو من شهور سنة واحد وتسعين وألف وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله =

= وأصحابه من كل فاضل أمجد وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا من غير نهاية ولا عدد وكان الفراغ من كتابة هذه الرسالة المباركة يوم الجمعة ٣ خلت من شهر رمضان ١٢٣٧هـ.

وفي (ج): وكان الفراغ من تتميم هذه النسخة اللطيفة المباركة صبيحة يوم الخميس ٢٨ من شهر شعبان ١٢٤١هـ على يد أضعف العباد وأحوجهم إلى الله يوم التناد مُلا قاسم بن محمد سالم البغدادي منشأً، والنجدي أصلًا والحنبلي مذهبًا والسلفي اعتقادًا.

وفي (ع): الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على أشرف المرسلين وخاتم النبيين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا تم الكتاب بعون الملك الوهاب وذلك بقلم الفقير إلى مولاه الغني عبد الله بن خلف بن دحيان الحنبلي عفى الله عنه ووالديه والمسلمين وكان الفراغ من نسخه ضحوة الخميس لخمس عشرة خلت من ذا الحجة من شهور سنة ١٣١٠هـ العاشرة بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والتسليم والحمد لله ختام.

قال محققه العبد الفقير إلى مولاه الغني مبارك بن راشد الحثلان الحنبلي مذهبًا واعتقادًا انتهيت بحمد الله وتوفيقه من تحقيقه بعد شروق شمس يوم الخميس ٨/ ١٠/ ١٤٣٤هـ في رياض نجد حرسها الله، وجميع بلاد المسلمين، وأرجو ممن استفاد منه أن يخصني ووالدي ومشايخي بدعوة صالحة في ظهر الغيب.

إِنْسَانُ العَيْنِ وَجَلَاءُ الغَيْنِ

مختصر

«العَيْنِ وَالأَثَرْ فِي عَقَائِدِ أَهْلِ الأَثَرِ»

تَأْلِيفُ

عَبْدِ البَاقِي بن عَبْد البَاقِي بنِ عَبْدِ القَادِرِ البَعْلِيّ

الدِمَشْقِيّ الحَنْبَلِيّ

١٠٠٥هـ-١٠٧١هـ

تحقيق

مبارك بن راشد الحثلان



بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا محمدٍ وَآلِهِ، وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، قَالَ الفَقيرُ عَبْدُ البَاقِي الحَنْبَلِيُّ، أَصْلَحَ اللهُ حَالَهُ، وَأَحْسَنَ مَآلَهُ: إنِّي لَمَّا أَلَّفْتُ رِسَالَتِي المُسَمَّاةَ: بِـ «**العَيْنِ وَالأَثَـر فِي عَقَائِدِ أَهْلِ الأَثَرِ**»، طَلَبَ مِنِّي الوَلَدُ الأَعَزُّ، ثَمَرَةُ الفُؤَادِ، أَبُو المَوَاهِبِ جَعَلَهُ اللهُ فِي بَرَكَةِ رَبِّ العِبَادِ آمِينَ، أَن اخْتَصِرَهَا فِي أَوْرَاقٍ قَلِيلَةٍ؛ لِيَسْهُلَ الاشْتِغَالُ عَلَى المُبْتَدِئِينَ، وَيَرْغَبُ بِهَا أَكْثَرُ المُشْتَغِلِينَ، فَأَجَبْتُهُ، وَبِاللهِ اسْتَعِينُ، وَسَمَّيْتُهَا بِـ: «إِنْسَانِ العَيْنِ وَجَلَاءِ الغَيْنِ»[1] **فَقُلْتُ**:

[المَنْصُوصُ مِنْ عَقَائِدَ الحَنَابِلَةِ]

❁ تَجِبُ مَعْرِفَةُ اللهِ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ قَادِرٍ.

❁ وَأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يَنْقَسِمُ، وَاحِدٌ لا يَتَعَدَّدُ.

❁ وَعَالِمٌ بِعِلْمٍ قَدِيمٍ، بَاقٍ ذَاتيٍّ، مُحِيطٍ بِكُلِّ مَعْلُومٍ، كُلِّيٍّ أَوْ جُزْئِيٍّ.

❁ لَيْسَ بِضَرُورِيٍّ، وَلَا كَسْبِيٍّ، وَلَا نَظَرِيٍّ وَلَا اسْتِدْلَالِيٍّ.

❁ وَقَادِرٌ بِقُدْرَةٍ وَاحِدَةٍ، وُجُودِيَّةٍ، قَدِيمَةٍ، بَاقِيَةٍ، ذَاتِيَّةٍ، مُتَعَلِّقَةٍ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، لَا يُوجَدُ شَيْءٌ إِلَّا بِهَا.

---

(١) إنسانُ العين: المثال الذي في السواد، والذي تسميه العامة: البؤبؤ، «الزاهر في معاني كلمات الناس» للأنباري ٢/ ٧٢. مؤسسة الرسالة، والغين: لغةٌ في الغيم «المصباح المنير» للفيومي ٢/ ٤٦٠. المكتبة العلمية.

۞ وَمُرِيدٌ بِإِرَادَةٍ وَاحِدَةٍ، وُجُودِيَّةٍ، قَدِيمَةٍ، بَاقِيَةٍ، مُتَعَلِّقَةٍ بِكُلِّ مُمْكِنٍ.

۞ وَحَيٌّ بِحَيَاةٍ وَاحِدَةٍ، وُجُودِيَّةٍ، قَدِيمَةٍ، ذَاتِيَّةٍ.

۞ وَسَمِيعٌ بَصِيرٌ، بِسَمْعٍ وَبَصَرٍ قَدِيمَيْنِ، وُجُودِيَّيْنِ، مُتَعَلِّقَيْنِ بِكُلِّ مَسْمُوعٍ وَمُبْصَرٍ.

۞ وَمُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ، ذَاتِيٍّ، وُجُودِيٍّ، غَيْرِ مَخْلُوقٍ، وَلَا مُحْدَثٍ، بَلَا تَشْبِيهٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ.

۞ فَالقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ، مُعْجِزٌ بِنَفْسِهِ لِجَمِيعِ الخَلْقِ، غَيْرُ مَقْدُورٍ عَلَى بَعْضِ آيَةٍ مِنْهُ.



[فَصْلٌ]

۞ وَيَجِبُ الجَزْمُ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ، وَلَا جِسْمٍ، وَلَا عَرَضٍ.

۞ وَلَا تَحُلُّهُ الحَوَادِثُ، وَلَا يَحُلُّ فِي حَادِثٍ، وَلَا يَنْحَصِرُ فِيهِ.

۞ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَانَ وَلَا مَكَانَ.

۞ فَهُوَ الغَنِيُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ: مَهْمَا خَطَرَ بِالبَالِ، أَوْ تَوَهَّمَهُ الخَيَالُ، فَهُوَ بِخِلَافِ ذِي الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ(١).

---

(١) هكذا في المخطوط، وفي الأصل: (الإكرام والجلال) ولعلها أولى لتوافق السجع.

۞ فَيَحْرُمُ تَأْوِيلُ: الِاسْتِوَاءِ[١]، وَحَدِيثِ النُّزُولِ[٢]، وَآيَةِ المجيء[٣]، وبقيةِ آيَاتِ وَأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، إِلَّا بِمَا صَدَرَ عَنْهُ ﷺ، أَوْ عَنِ الصَّحَابَةِ.

۞ فَلَا نَقُولُ فِي التَّنْزِيهِ كَقَوْلِ المُعَطِّلَةِ، بَلْ نُثْبِتُ وَلَا نُحَرِّفُ، وَنَصِفُ وَلَا نُكَيِّفُ.

۞ وَالكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَنِ الكَلَامِ فِي الذَّاتِ.

۞ فَهَذَا حَقٌّ بينَ بَاطِلَيْنِ، وَهُوَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ، مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ.

۞ ۞ ۞

[الأَفْعَال]

۞ وَنَعْتَقِدُ فِي الأَفْعَالِ: أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سِوَى اللهِ وَصِفَاتِهِ حَادِثٌ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ خَلَقَهُ وَأَوْجَدَهُ وَابْتَدَأَهُ مِنَ العَدَمِ.

۞ لَا لِعِلَّةٍ، وَلَا لِغَرَضٍ، وَلَا لِمُوجِبٍ، وَلَا يَفْعَلُ عَبَثًا.

۞ وَجَمِيعُ أَفْعَالِ العِبَادِ كَسْبٌ لَهُمْ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ للهِ، خَيْرُهَا وَشَرُّهَا.

۞ وَالعَبْدُ مُخْتَارٌ مُيَسَّرٌ فِي كَسْبِ الطَّاعَةِ، وَاكْتِسَابِ المَعْصِيَةِ، غَيْرُ مُكْرَهٍ، وَلَا مُجْبَرٍ.

---

(١) ورد الاستواء في سبعة مواضع في القرآن: منها قوله تعالى: (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) طه الآية ٥.

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ». البخاري ٢/ ٥٣. الطبعة السلطانية، ورواه مسلم في صحيحه عن جابر ١/ ٥٢١. دار إحياء التراث العربي.

(٣) قال تعالى: (وجاء ربك والملك صفًا صفا) سورة الفجر ٢٢.

وَلَهُ سُبْحَانَهُ إِيلَامُ الخَلْقِ وَتَعْذِيبُهُمْ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهُ حَسَنٌ.

وَلَهُ تَعْجِيلُ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَتَأْخِيرُهُمَا، وَلَهُ العَفْوُ عَنِ المُسْلِمِ المُذْنِبِ؛ وَإِنْ لَمْ يَتُبْ، وَعَنِ الكَافِرِ إِذَا أَسْلَمَ.

وَالمَعْدُومُ مُخَاطَبٌ إِذَا وُجِدَ.

وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِخَلْقِهِ شَيْءٌ، وَلَا فِعْلُ الأَصْلَحِ لَهُمْ.

وَالعَقْلُ المَرْعِيُّ تَبَعٌ لِلنَّقْلِ الشَّرْعِيِّ.

وَاللهُ هُوَ الرَّزَّاقُ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ.

هَدَى مَنْ شَاءَ، وَأَضَلَّ مَنْ أَرَادَ.

[الأَحْكَام]

وَنَعْتَقِدُ فِي الأَحْكَامِ: وُجُوبَ امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ الجَازِمَيْنِ، وَسُنَّ فِي غَيْرِهِمَا.

وَلَا يَسْتَحِقُّ المُطِيعُ عَلَى اللهِ ثَوَابًا، وَلَا العَاصِيَ عِقَابًا.

بَلْ يُثِيبُ الطَّائِعَ بِفَضْلِهِ، وَيُعَذِّبُ العَاصِيَ بِعَدْلِهِ.

فَلَا نَقْطَعُ لِطَائِعٍ بِجَنَّةٍ، وَلَا لِعَاصٍ بِنَارٍ، بَلْ نَرْجُو وَنَخَافُ.



[فَصْلٌ]

۞ وَنَعْتَقِدُ بِأَنَّ الإِسْلَامَ هُوَ: الإِتْيَانُ بِالشَّهَادَتَيْنِ مَعَ اعْتِقَادِهِمَا، والتِزَامُ بَقِيَّةِ الأَرْكَانِ الخَمْسَةِ إِذَا تَعَيَّنَتْ، وَتَصْدِيقُ الرَّسُولِ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ.

۞ وَالكُفْرُ: جَحْدُ مَا لَا يَتِمُّ الإِسْلَامُ بِدُونِهِ.

۞ وَالمُسْلِمُ تَبَعًا: لِأَبَوَيْهِ، أَوْ لِسَابِيهِ، أَوْ لِلدَّارِ.

۞ يَلْزَمُهُ الإِتْيَانُ بِالشَّهَادَتَيْنِ إِذَا بَلَغَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ نَطَقَ بِهَا.

۞ وَالإِيمَانُ: عَقْدٌ بِالجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ.

۞ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ هُوَ وَثَوَابُهُ بِالعِصْيَانِ.

۞ وَيَقْوَى بِالعِلْمِ، وَيَضْعُفُ بِالجَهْلِ وَالغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ.

۞ وَقَوْلُ: «إِنْ شَاءَ اللهُ» فِيهِ سُنَّةٌ، لَا عَلَى الشَّكِ فِي الحَالِ، بَلْ فِي المَآلِ، أَوْ فِي قَبُولِ بَعْضِ الأَعْمَالِ، أَوْ لِخَوْفِ التَّقْصِيرِ، أَوْ كَرَاهَةِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ.

۞ ۞ ۞

[فَصْلٌ]

۞ وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُقَدِّرُ الخَيْرِ وَالشَّرِ.

۞ وَكُلُّ مَا عَلِمَهُ أَوْ قَضَاهُ، أَوْ حَكَمَ بِهِ، أَوْ أَخْبَرَ بِهِ، لَا تَتَصَوَّرُ مُخَالَفَتُهُ، وَلَا الخُلْفُ فِيهِ، فَلَا يَتَعَدَّى شَيْءٌ أَجَلَهُ.

۞ وَالمَحْتَرِقُ، وَالمَقْتُولُ، وَالغَرِيقُ، وَأَكِيلُ الوَحْشِ، وَالمَيِّتُ بِهَدْمٍ، وَنَحْوُهُمْ كَمَنْ يَمُوتُ بِأَجَلِهِ.

۞ وَيَجِبُ بِوَعِيدِ[١] اللهِ تَخْلِيدُ الكَافِرِ فِي النَّارِ، وَبِوَعْدِهِ إِخْرَاجُ غَيْرِهِ مِنْهَا، بِشَفَاعَةٍ أَوْ غَيْرِهَا.

۞ وَتَحْبَطُ المَعَاصِي بِالتَّوْبَةِ لِلْخَبَرِ، وَالكُفْرُ بِالإِسْلَامِ، وَالطَّاعَاتُ بِالرِّدَّةِ المتَّصِلَةِ بِالمَوْتِ.

۞ ۞ ۞

[فَصْلٌ]

۞ التَّوْبَةُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَاجِبَةٌ عَلَى المُكَلَّفِ فَوْرًا.

۞ وَلَا تُقْبَلُ ظَاهِرًا مِنْ داعيةٍ إِلَى بِدْعَةٍ، وَلَا مِنْ سَاحِرٍ، وَزِنْدِيقٍ، وَلَا مِمَّنْ تَكَرَّرَتْ رِدَّتُهُ، أَوْ سَبَّ اللهَ، أَوْ رَسُولًا، أَوْ مَلَكًا لَهُ.

۞ وَقَبُولُهَا تَفَضُّلٌ مِنْهُ تَعَالَى.

۞ وَالحُدُودُ لَيْسَتْ بِتَوْبَةٍ وَلَا كَفَّارَةٍ، فِي حَقِّ المُصِرِّ.

۞ وَتُقْبَلُ مَا لَمْ يُعَايِنْ مَلَكَ المَوْتِ أَوْ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ مَا دَامَ عَقْلُهُ ثَابِتًا إِذْ هُوَ مَنَاطُ التَّكْلِيفِ.

۞ وَالأَرْوَاحُ مَخْلُوقَةٌ للهِ، وَيَكْفُرُ القَائِلُ بِقِدَمِهَا.

۞ ۞ ۞

[فَصْلٌ]

۞ وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ.

۞ وَأَنَّ اللهَ قَضَى المَعَاصِيَ وَالمَكْرُوهَ، وَقَدَّرَ ذَلِكَ، وَكَتَبَهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِهِ، بَلْ نَهَاهُمْ عَنِ الرِّضَا بِذَلِكَ.

---

(١) في المخطوط، (بوعد) والمثبت من الأصل، وهو الصحيح.

[السَّمْعِيَّاتُ]

۞ وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِبَقِيَّةِ السَّمْعِيَّاتِ كَالسَّاعَةِ.

۞ وَأَشْرَاطِهَا مِنَ: الدَّجَّالِ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَنُزُولِ عِيسَى.

۞ وَبِالصَّعْقَةِ، وَالحَشْرِ، وَالنَّشْرِ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ.

۞ وَبِإِحْيَاءِ المَيِّتِ فِي قَبْرِهِ، وَضَغْطَتِهِ فِيهِ، وَرَدِّ رُوحِهِ إِلَيْهِ، وَسُؤَالِ المَلَكَيْنِ، وَثَوَابِ المَيِّتِ وَعِقَابِهِ لِلرُّوحِ وَالجَسَدِ، وَبِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْلَمُ مَصِيرَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ.

۞ وَأَنَّ المِيزَانَ، وَالمَعَادَ الجُثْمَانِي بَعْدَ الإِعْدَامِ حَقٌّ.

۞ وَيُحَاسَبُ المُسْلِمُونَ المُكَلَّفُونَ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالكُفَّارُ لَا يُحَاسَبُونَ، فَلَا تُوزَنُ صَحَائِفُهُمْ.

۞ وَإِن فَعَلَ كَافِرٌ قُرْبَةً مِنْ نَحْوِ: صَدَقَةٍ، وَعِتْقٍ، أَوْ ظُلِمَ، رَجَوْنَا أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ مِنَ العَذَابِ.

۞ وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، وَهُوَ: جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى جَهَنَّمَ، دَحْضٌ[١] مَزَلَّةٌ[٢]، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ[٣]، وَأَنَّ المُرُورَ عَلَيْه بِحَسَبِ الأَعْمَالِ.

۞ وَأَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ الآنَ، خُلِقَتَا لِلْبَقَاءِ.

۞ وَبِأَنَّ المَقَامَ المَحْمُودَ، وَالحَوْضَ المَوْرُودَ حَقٌّ.

---

(١) مكان دَحْضٌ: زَلِقٌ. «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» ٣/ ١٠٧٥. دار العلم للملايين.

(٢) المَزَلَّةُ: موضع الزلل. «المرجع السابق» ٤/ ١٧١٧.

(٣) جمع خُطَّاف، وهو الحديدة المعوجة كالكلُّوب يختطف بها الشي. «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير ٢/ ٤٩. دار الكتب العلمية.

[النُّبُوَّةُ]

❁ وَالأَنْبِيَاءُ مُتَفَاوِتُونَ فِي الفَضِيلَةِ.

❁ وَرِسَالَتُهُ ﷺ حَقٌّ إِلَى الإِنْسِ وَالجِنِّ كَافَّةً.

❁ وَهُوَ: خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَأَفْضَلُهُمْ.

❁ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ البَعْثَةِ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، بَلْ وُلِدَ مُسْلِمًا.

❁ وَأَنَّ المُعْجِزَةَ القَاطِعَةَ المُعْتَبَرَةَ لِصِدْقِهِ وُجِدَتْ دَالَّةً عَلَى نُبُوَّتِهِ، مُقْتَرِنَةً بِدَعْوَتِهِ.

❁ وَهِيَ: مَا خَرَقَ العَادَةَ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، إِذَا وَافَقَ دَعْوَى الرِّسَالَةِ وَقَارَنَهَا، وَطَابَقَهَا عَلَى وَجْهِ التَّحَدِّي، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَيْهَا.

❁ وَلَا يَجُوزُ ظُهُورُهَا عَلَى يَدِ كَاذِبٍ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ.

❁ وَأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ فِيمَا يُؤَدُّونَهُ عَنْهُ سُبْحَانَهُ، وَمِنْ كُلِّ كَذِبٍ(١).



[فَصْلٌ]

❁ وَأَنَّ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ حَقٌّ فِي حَيَاتِهِم وَمَمَاتِهِم، وَهِيَ: خَرْقُ العَادَةِ، لَا عَلَى وَجْهِ الاسْتِدْعَاءِ لَهَا، وَالتَّحَدِّي بِهَا.

❁ وَالأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ مِنْهُمْ، وَمِنَ المَلَائِكَةِ.



---

(١) في المخطوط (كل ذنب)، وكذلك في بعض نسخ الأصل، والمثبت من بعض النسخ وهو الصحيح، انظر: «لوامع الأنوار» للسفاريني ٢/ ٣٠٦ مؤسسة الخافقين.

[فَصْلٌ]

۞ وَأَنَّ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَى الجَمَاعَةِ.

۞ وَعَيْنٍ عَلَى الوَاحِدِ.

۞ عَلَى مَنْ عَلِمَهُ وَتَحَقَّقَهُ، وَهُوَ عَارِفٌ بِمَا يُنْكِرُهُ، وَلَمْ يَخَفْ أَذًى فِي نَفْسِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، وَلَا فِتْنَةً تَزِيدُ عَلَى المُنْكَرِ، وَلَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ.

۞ وَعَلَى النَّاسِ إِعَانَةُ المُنْكِرِ، وَنَصْرُهُ مَعَ القُدْرَةِ.

۞ وَلَا يُنْكِرُ بِسَيْفٍ، وَلَا يَحْصُلُ، إِلَّا مَعَ سُلْطَانٍ.

۞ وَالمَعْرُوفُ: كُلُّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ حَسَنٍ شَرْعًا.

۞وَالمُنْكَرُ: كُلُّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ وَقَصْدٍ قَبِيحٍ شَرْعًا.

۞ وَالإِنْكَارُ فِي تَرْكِ الوَاجِبِ وَفِعْلِ الحَرَامِ وَاجِبٌ، وَفِي تَرْكِ المَنْدُوبِ، وَعَدَمِ تَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَفِعْلِ المَكْرُوهِ، وَتَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ مَنْدُوبٌ.

۞ وَذَلِكَ إِمَّا حَقُّ اللهِ تَعَالَى: كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالحَثِّ عَلَى الطَّاعَةِ.

۞ أَوْ لِآدَمِيٍّ: كَوَفَاءِ الدَّيْنِ وَالعَدْلِ.

۞أَوْ لَهُمَا: كَالزَّكَاةِ وَالكَفَّارَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ المَعْصِيَةِ وَالظُّلْمِ.

۞ وَالأَبُ وَغَيْرُهُ فِي الإِنْكَارِ عَلَيْهِ سَوَاءٌ.

۞ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الآمِرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ المُنْكَرِ: مُتَوَاضِعًا رَفِيقًا فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ، ذَا رَأْيٍ، وَمُرَاقَبَةٍ، وَشِدَّةٍ فِي الدِّينِ، قَاصِدًا بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ، وَإِقَامَةَ دِينِهِ، وَنُصْرَةَ شَرْعِهِ، وَامْتِثَالَ أَمْرِهِ، وَإِحْيَاءَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ بِلَا رِيَاءٍ، وَلَا مُنَافَقَةٍ، وَلَا مُدَاهَنَةٍ، غَيْرَ مُنَافِسٍ، وَلَا مُفَاخِرٍ، وَلَا بِمَا يُخَالِفُ قَوْلُهُ فِعْلَهُ.

۞ وَيَبْدَأُ فِي إِنْكَارِهِ بِالأَسْهَلِ فَالأَسْهَلِ، فَإِنْ زَالَ وَإِلَّا زَادَ، فَإِنْ لَمْ يَزُلْ رَفَعَهُ إِلَى سُلْطَانٍ لَا يَأْخُذُ مَالًا، وَلَا يَفْعَلُ غَيْرَ مَا يَجِبُ.

۞ وَيُنْكِرُ عَلَى السُّلْطَانِ، بِالوَعْظِ وَالتَّخْوِيفِ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

۞ وَسُنَّ هِجْرَانُ العُصَاةِ المُتَجَاهِرِينَ، وَيَجِبُ الإِغْضَاءُ[1] عَنِ المُسْتَتِرِينَ.

۞ وَيَجِبُ هِجْرَانُ المُبْتَدِعِينَ الدَّاعِينَ إِلَى الضَّلَالِ، عَلَى مَنْ عَجَزَ عَنْ إِصْلَاحِهِمْ وَالإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ.



[فَصْلٌ]

۞ وَيَجِبُ عَلَى القَادِرِ الدَّفْعُ عَنْ نَفْسِهِ، وَحُرْمَتِهِ.

۞ وَيَجُوزُ عَنْ مَالِهِ.

۞ وَيَلْزَمُ عَنْ أَخِيهِ المُسْلِمِ، وَمَالِهِ، وَحُرْمَتِهِ إِنْ أَمْكَنَهُ.

۞ وَيَسْقُطُ إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يُفِيدُ.

۞ وَعَلَيْهِ إِنْجَاؤُهُ مِنْ غَرَقٍ، وَحَرِيقٍ، وَنَحْوِهِمَا، كَمَا يُنْجِيهِ مِنَ الجُوعِ، وَالظَّمَاءِ، مَعَ القُدْرَةِ.



---

(١) يقال أغضى على الشيء: سكت. «المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده ٦/ ٣٣. دار الكتب العلمية.

[فَصْلٌ]

۞ مَنْ كَفَّرَ مَنْ لَيْسَ بِكَافِرٍ، مُعْتَقِدًا كُفْرَهُ، كَفَرَ.

۞ وَمَنْ فَسَّقَ مَنْ لَيْسَ بِفَاسِقٍ، مُعْتَقِدًا فِسْقَهُ، فَسَقَ، وَكَذَا مَنْ قَالَ بِصَلَاحِ فَاسِقٍ.

۞ وَيَحْرُمُ لَعْنُ كَافِرٍ مُعَيَّنٍ.

۞ ۞ ۞

[فَصْلٌ]

۞ وَالقَدِيمُ: مَا لَا أَوَّلَ لِوُجُودِهِ، وَلَمْ يَسْبِقْهُ عَدَمٌ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ: المُتَقَدِّمُ، وَإِنْ سَبَقَهُ عَدَمٌ.

۞ وَالعَالَمُ: كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللهِ وَصِفَاتِهِ.

۞ وَالمُسْتَحِيلُ لِذَاتِهِ: غَيْرُ مُمْكِنٍ، وَلَا مَقْدُورٍ.

۞ وَالجَائِزُ: مَا جَازَ اجْتِمَاعُهُ وَافْتِرَاقُهُ، وَشَرْعًا: مَا أَذِنَ فِيهِ الشَّرْعُ.



[فَصْلٌ]

۞ وَأَسْلَمُ الطُّرُقِ التَّسْلِيمُ، فَمَا سَلِمَ دِينُ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ للهِ وَلِرَسُولِهِ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ إِلَى عَالِمِهِ.

۞ وَمَنْ أَرَادَ عِلْمَ مَا يمْتَنِعُ عِلْمُهُ، حَجَبهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي المَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الإِيمَانِ، فَيَتَرَدَّدُ بَيْنَ الإِقْرَارِ وَالإِنْكَارِ، شَاكًّا زَائِغًا مُتَحَيِّرًا، لَا مُؤْمِنًا صَادِقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا، وَلَا مُوقِنًا مُحَقِّقًا.

۞ وَالتَّعَمُّـقُ فِـي الدِّيـنِ ذَرِيعَةُ الخِـذْلَانِ، وَسُـلَّمُ الحِرْمَانِ، وَدَرَجَـةُ الطُّغْيَانِ، وَمَـادَّةُ التَّوَهَـانِ وَالوَلَهَـانِ، يَفْتَـحُ بَـابَ الحَيْـرَةِ غَالِبًـا، وَقَـلَّ أَنْ يَكُـونَ مُلَازِمُـهُ إِلَّا خَائِبًا.



[فَصْلٌ]

۞ فَنُؤْمِـنُ بِــ: الِاسْـتِوَاءِ، وَالنُّـزُلِ، وَالمَجِـيءِ، وَالإِتْيَـانِ[1]، وَنَحْـوِهِ بِـلَا كَيْـفٍ، فَلَـوْ شَـاءَ أَنْ يُبَيِّـنَ لَنَـا كَيْفِيَّةَ ذَلِـكَ لَفَعَـلَ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَـا أَحْكَمَـهُ، وَكَفَفْنَا عَمَّا تَشَـابَهَ.

۞ قَـالَ مَالِـكٌ: «إِيَّاكُـمْ وَالبِـدَعَ»، قِيـلَ: «وَمَـا هِـيَ؟». قَـالَ: «أَهْـلُ البِـدَعِ: الَّذِيـنَ يَتَكَلَّمُـونَ فِـي أَسْـمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَعِلْمِـهِ وَقُدْرَتِهِ، لَا يَسْـكُتُونَ عَمَّا سَـكَتَ عَنْـهُ الصَّحَابَـةُ وَالتَّابِعُونَ».

۞ وَفِي صُحُفِ إِدْرِيسَ: «لَا تَرُومُوا أَنْ تُحِيطُوا بِاللهِ خِبْرَةً، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ وأَعْلَى أَنْ تُدْرِكَهُ فِطَنُ المَخْلُوقِينَ».

۞ قَالَ الشَّافِعِيُّ: «لَأَنْ يَلْقَى اللهَ العَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشِّرْكَ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَهْوَاءِ».

۞ وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ، لِرَجُلٍ سَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الأَهْوَاءِ، فَقَالَ: «الزَمْ دِينَ الصِّبْيَانِ فِي الكُتَّابِ، وَالأَعْرَابِ، وَالْهَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ».

---

(١) قال تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُور).

۞ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ(١): «كُلُّ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، فَتَفْسِيرُهُ تِلَاوَتُهُ وَالسُّكُوتُ عَنْهُ».

۞ وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «قَدَمُ الإِسْلَامِ لَا يَثْبُتُ إِلَّا عَلَى قَنْطَرَةِ التَّسْلِيمِ».

۞ وَقَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «آمَنْتُ بِاللهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ، وَعَلَى مُرَادِ اللهِ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللهِ»، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ اللَّبُّودِيُّ الحَنْبَلِيُّ(٢) بَعْدَهُ(٣): «وَعَلَى هَذَا دَرَجَ السَّلَفُ وَأَئِمَّةُ الخَلَفِ».

۞ فَقَدْ قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ، رَحِمَهُ اللهُ: أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْه رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ، وَالاقْتِدَاءُ بِهِمْ وَتَرْكُ البِدَعِ؛ إِذْ كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَتَرْكُ الخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاتِّبَاعُ القُرْآنِ، وَلَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا تُضْرَبُ لَهَا الأَمْثَالُ، وَلَا تُدْرَكُ بِالعُقُولِ، أَوْ قَالَ: بِالمَعْقُولِ وَلَا بِالأَهْوَاءِ، إِنَّمَا هُوَ الاِتِّبَاعُ وَتَرْكُ الهَوَى. انْتَهَى

۞ فَعَلَيهِ، إِنَّ كُلَّ مَنِ اشْتَغَلَ بِبَيَانِ مَا جَاءَ عَنِ السَّلَفِ، وَلَمْ يُؤَوِّلْ، وَلَمْ يُعَطِّلْ، وَلَمْ يُشَبِّهْ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلِ الأَقْيِسَةَ، وَآرَاءَ الرِّجَالِ المُزْخَرَفَةَ بِالأَقْوَالِ، لَا يُقَالُ: إِنَّهُ اشْتَغَلَ بِالمَذْمُومِ مِنْ عِلْمِ الكَلَامِ.

---

(١) هو: الإمام الحافظ الفقيه سفيان بن عيينة بن أبي عمران، ميمون، الهلالي، أبو محمد الكوفي، ثم المكي، توفي سنة ١٩٨هـ. «سير أعلام النبلاء» ٨/ ٤٥٤. مؤسسة الرسالة.

(٢) ولم أقف على ترجمته إلا أن يكون الشيخ المحدث علي بن موسى اللبودي ترجم له في «الجوهر المنضد» لابن المبرد (٨٧). مكتبة العبيكان، وذكر أنه لم يطلع على وقت وفاته.

(٣) في هامش المخطوط: قوله (بعده) أي: بعد أن نقل كلام الشافعي في كتابه: «اللمع في السنن والبدع».

❁ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ: «قِفْ حَيْثُ وَقَفَ القَوْمُ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَاقِدٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى، وَبِالفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا كَانُوا أَحْرَى، فَلَئِنْ حَدَثَ بَعْدَهُمْ رَأْيٌ، فَمَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي، لَقَدْ قَصُرَ عَنْهُم قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُم فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى».

❁ وَقَالَ مَالِكٌ لَـمَّا سُئِلَ عَنِ الاِسْتِوَاءِ: «الاِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ».



[فَصْلٌ]

❁ وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا بِأَنَّ الإِمَامَ الأَشْعَرِيَّ، مُعْتَقِدٌ وَمُؤْتَمٌّ وَمُوَافِقٌ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ، فِي اعْتِقَادِهِ المُوَافِقِ لِاعْتِقَادِ السَّلَفِ، مِنْ حَيْثُ إِجْرَائِهِ المُتَشَابِهَاتِ عَلَى مَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَصَرُّفٍ.

❁ فَقَالَ مَا نَصُّهُ: «وَأَمَّا الإِمَامُ أَحْمَد وَأَصْحَابُهُ مِنْهُمْ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ فَإِنَّهُ قَالَ: «فَصْلٌ، فِي إِبَانَةِ قَوْلِ الحَقِّ وَالسُّنَّةِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: قَدْ أَنْكَرْتُمْ قَوْلَ المُعْتَزِلَةِ، وَالقَدَرِيَّةِ، وَالجَهْمِيَّةِ، وَالحَرُورِيَّةِ، وَالرَّافِضَةِ، وَالمُرْجِئَةِ، فَعَرِّفُونَا قَوْلَكُمْ الَّذِي تَقُولُونَ، وَدِيَانَتُكُمُ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ.

قِيلَ لَهُ: قَوْلُنَا: الَّذِي نَقُولُ بِهِ، وَدِيَانَتُنَا الَّتِي نَدِينُ اللهَ بِهَا: التَّمَسُّكُ بِكِتَابِ رَبِّنَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا، وَمَا رُوِيَ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَأَئِمَّةِ الحَدِيثِ، وَنَحْنُ بِذَلِكَ، مُعْتَصِمُونَ، وَبِمَا كَانَ يَقُولُ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنِ حَنْبَلٍ نَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ قَائِلُونَ، وَلِـمَنْ خَالَفَ قَوْلَهُ مُخَالِفُونَ؛ لِأَنَّهُ الإِمَامُ، الَّذِي أَبَانَ اللهُ بِهِ الحَقَّ عِنْدَ ظُهُورِ

الضَّلَالِ، فَأَوْضَحَ بِهِ المِنْهَاجَ، وَقَمَعَ بِهِ بِدَعَ المُبْتَدِعِينَ، وَالزَّائِغِينَ، فَرَحْمَةُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ إِمامٍ.

وَجُمْلَةُ قَوْلِنَا: بِأَنَّا نُقِرُّ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَبِمَا جَاؤُوا بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، وَبِمَا رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِهِ، لَا نَرُدُّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَأَنَّ اللهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ كَمَا قَالَ، وَنَقُولُ فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ بِالرَّدِّ إِلَى الكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَإِجْمَاعِ الأُمَّةِ[1].

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

❁ مَسْأَلَةُ الكَلَامِ: القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، المُنَزَّلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، مُعْجِزٌ بِنَفْسِهِ، مِنْ حَيثُ إِنَّهُ مَقْصُودٌ بِهِ الإِعْجَازُ، وَمُشْتَمِلٌ عَلَيهِ كَمَا اشْتَمَلَ عَلَى أَحْكَامٍ، وَمَوَاعِظَ، وَقَصَصٍ وَأَخْبَارٍ، مُتَعَبَّدٌ بِتِلَاوَتِهِ.

❁ وَالكَلَامُ حَقِيقَةً: الأَصْوَاتُ وَالحُرُوفُ، وَإِنْ سُمِّيَ بِهِ المَعْنَى النَّفْسِيُّ، وَهُوَ: نِسْبَةٌ بَيْنَ مُفْرَدَيْنِ قَائِمَةٌ بِالمُتَكَلِّمِ فَمَجَازٌ.

❁ وَالكِتَابَةُ: كَلَامٌ حَقِيقَةً؛ لِقَوْلِ عَائِشَةَ: (مَا بَيْنَ دَفَّتَي المُصْحَفِ كَلَامُ اللهِ).

❁ وَلَمْ يَزَلِ اللهُ مُتَكَلِّمًا كَيْفَ يَشَاءُ، وَإِذَا شَاءَ، بِلَا كَيْفٍ، يَأْمُرُ بِمَا شَاءَ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيد؛ فَإِنَّ الكَلَامَ صِفَةُ كَمَالٍ، وَمَنْ يَتَكَلَّمُ أَكْمَلُ مِمَّنْ لا يَتَكَلَّمُ، وَمَنْ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ أَكْمَلُ مِمَّنْ يَكُونُ الكَلَامُ مُمْكِنًا لَهُ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ مُمْتَنِعًا مِنْهُ.

❁ **قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ**: «القُرْآنُ كَيْفَ تَصَرَّفَ فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامٍ فَقَدْ غَلِطَ وَجَهِلَ».

---

(١) «الإبانة عن أصول الديانة» للإمام الأشعري (٢٠). دار الأنصار.

وَكَذَا مَنْ قَالَ: «لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ»، أَو: «القُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ» وَكَذَا مَنْ قَالَ: «لَفْظِي بِالقُرْآنِ قَدِيمٌ» مِن العِبَارَاتِ المُبْتَدَعَةِ.

۞ **قَالَ المُوَفَّقُ ابْنُ قُدَامَةَ: وَاعْتَرَضَ من يقول بِأَنَّ النَّفْسِي كَلَامٌ حَقِيقَةً بِوُجُوهٍ:**

أَحَدُهَا: قَوْلُ الأَخْطَلِ: إِنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ... البَيْتَ.

الثَّانِي: سَلَّمْنَا أَنَّ كَلَامَ الآدَمِيِّ صَوْتٌ وَحَرْفٌ، لَكِنْ كَلَامُ اللهِ يُخَالِفُهُ؛ لِأَنَّهُ صِفَتُهُ، فَلَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الآدَمِيِّينَ، وَلَا كَلَامُهُ كَلَامَهُمْ.

الثَّالِثُ: أَنَّ مَذْهَبَكُمْ فِي الصِّفَاتِ أَنْ لَا تُفَسَّرَ، فَكَيْفَ فَسَّرْتُمْ كَلَامَ اللهِ بِمَا ذَكَرْتُمْ.

الرَّابِعُ: أَنَّ الحُرُوفَ لَا تَخْرُجُ[1] إِلَّا مِنْ مَخَارِجَ وَأَدَواتٍ، وَالصَّوْتُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ جِسْمٍ، وَاللهُ مُتَعَالٍ عَنْ ذَلِكَ.

الخَامِسُ: أَنَّ الحُرُوفَ يَدْخُلُهَا التَّعَاقُبُ، وَكُلُّ مَسْبُوقٍ مَخْلُوقٌ.

السَّادِسُ: أَنَّ هَذَا يَدْخُلُهُ التَّجَزُّؤُ وَالتَّعَدُّدُ، وَالقَدِيمُ لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يَتَعَدَّدُ.

۞ **قَالَ المُوَفَّقُ: الجَوابُ عَنِ الأَوَّلِ مِنْ وُجُوهٍ:**

الأَوَّلُ: أَنَّ هَذَا الشَّاعِرَ نَصْرَانِيٌّ عَدُوٌّ للهِ وَرَسُولِهِ وَدِينِهِ، أَفَيَجِبُ اطِّرَاحُ كَلَامِ اللهِ وَسَائِرِ الخَلْقِ تَصْحِيحًا لِكَلَامِهِ؟ وَحَمْلُ كَلَامِهِمْ عَلَى المَجَازِ صِيَانَةً لِكَلِمَتِهِ هَذِهِ عَنِ المَجَازِ؟.

وَأَيْضًا: فَيَحْتَاجُونَ إِلَى إِثْبَاتِ هَذَا الشِّعْرِ بِبَيَانِ إِسْنَادِهِ، وَنَقْلِ الثِّقَاتِ لَهُ، وَلَا نَقْنَعُ بِشُهْرَتِهِ، فَقَدْ يَشْتَهِرُ الفَاسِدُ.

---

(١) لا تخرج: ساقطة من المخطوط، ولا يستقيم الكلام بدونها.

قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ الْخَشَّابِ[١]: «قَدْ فَتَّشْتُ دَوَاوِينَ الأَخْطَلِ القَدِيمَةَ، فَلَمْ أَجِدْ هَذَا البَيْتَ».

الثَّانِي: لَا نُسَلِّمُ أَنَّ لَفْظَهُ هَكَذَا، إِنَّمَا قَالَ: (إِنَّ البَيَانَ مِنَ الفُؤَادِ)، فَحَرَّفُوهُ.

الثَّالِثُ: أَنَّ هَذَا مَجَازٌ، أَرَادَ بِهِ أَنَّ الكَلَامَ مِنْ عُقَلَاءِ النَّاسِ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ التَّرَوِّي فِيهِ، وَاسْتِحْضَارِ مَعَانِيهِ فِي القَلْبِ، كَمَا قِيلَ: لِسَانُ الحَكِيمِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَكَتَ، وَكَلَامُ الجَاهِلِ عَلَى طَرَفِ لِسَانِهِ.

وَيُدَلُّ عَلَى أن هَذَا مَجَازٌ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ:

أَحَدُهَا: حَمْلُ النُّطْقِ، عَلَى الحَقِيقَةِ، وَكَلَامُ الأَخْطَلِ عَلَى المَجَازِ فَإِنَّهُ أَوْلَى مِنَ العَكْسِ.

ثَانِيهَا: أَنَّ الحَقِيقَةَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهَا بِسَبْقِهَا إِلَى الذِّهْنِ، وَتَبَادُرُ الأَفْهَامِ إِلَيْهَا، وَالكَلَامُ المَسْمُوعُ كَذَلِكَ.

ثَالِثُهَا: تَرْتِيبُ الأَحْكَامِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، دُونَ مَا ذَكَرُوهُ.

رَابِعُهَا: قَوْلُ أَهْلِ العَرَبِيَّةِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ اللِّسَانِ، فَإِنَّهُمْ أَعْرَفُ بِهَذَا الشَّأْنِ.

خَامِسُهَا: إِضَافَةُ مَا ذَكَرُوهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ لَا يُوصَفُ بِمَا عَبَّرَ عَنْهُ الأَخْطَلُ، مَن الفُؤَادِ والتَّرَوِّي وَالفِكْرِ وَاسْتِحْضَارِ المَعَانِي، وَحَدِيثِ النَّفْسِ وَوَسْوَسَتِهَا، وَمِن العَجَبِ أَنَّهُمْ رَدُّوا عَلَى اللهِ وَعَلَى رَسُولِهِ وَخَالَفُوا جَمِيعَ الخَلْقِ فِرَارًا مِنَ التَّشْبِيهِ عَلَى زَعْمِهِمْ، فَصَارُوا إِلَى تَشْبِيهٍ أَقْبَحَ وَأَفْحَشَ.

---

(١) هو: عبد الله بن أحمد بن البغدادي، ابن الخشاب، إمام النحو، ومن يضرب به المثل في العربية، توفي سنة ٥٦٧هـ. «سير أعلام النبلاء» ٢٠/ ٥٢٣. مؤسسة الرسالة.

وَمِنْ أَدَلِّ الأَشْيَاءِ عَلَى فَسَادِ قَوْلِهِمْ، تَرْكُهُمْ قَوْلَ اللهِ، وَقَوْلَ رَسُولِهِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنَ الأَدِلَّةِ.

وَتَمسُّكَهُمْ بِكَلِمَةٍ قَالَهَا هَذَا النَّصْرَانِيُّ، وَجَعَلُوهَا أَسَاسَ مَذْهَبِهِمْ، وَبَنَوا عَلَيهَا عِنْدَ الأَصْلِ العَظِيمِ وَقَدْ عَارَضَهَا مَا لَا يُمْكِنُ رَدُّهُ كَمَنْ بَنَى قَصْرًا عَلَى أَعْوَادِ الكِبْرِيتِ، فِي مَجْرَى النِّيلِ.

۞ **وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «إِنَّ كَلَامَ اللهِ يَجِبُ أَنْ لَا يَكُونَ حَرُوفًا يُشْبِهُ كَلَامَ الآدَمِيِّينَ».**

فَجَوَابُهُ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ الاِتِّفَاقَ فِي أَصْلِ الحَقِيقَةِ لَيْسَ بِتَشْبِيهٍ، كَمَا أَنَّ اتِّفَاقَ البَصَرِ بِأَنَّهُ إِدْرَاكُ المُبْصَرَاتِ، وَالسَّمْعُ إِدْرَاكُ المَسْمُوعَاتِ، وَالعِلْمُ إِدْرَاكُ المَعْلُومَاتِ، لَيْسَ بِتَشْبِيهٍ.

الثَّانِي: أَنَّهُ لَوْ كَانَ تَشْبِيهًا، لَكَانَ تَشْبِيهُهُمْ أَفْحَشَ، عَلَى مَا ذَكَرْنَا.

الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ إِنْ نَفَوْا هَذِهِ الصِّفَةَ لِكَونِ هَذَا تَشْبِيهًا يَنْبَغِي أَنْ يَنْفُوا سَائِرَ الصِّفَاتِ، مِنَ الوُجُودِ وَالحَيَاةِ وَغَيرِهَا.

۞ **أَمَّا قَوْلُهُمْ: «أَنْتُمْ فَسَّرْتُمْ هَذِهِ الصِّفَةَ».**

قُلْنَا: إِنَّ مَا لَا يَجُوزُ تَفْسِيرُهُ المُتَشَابِهُ الَّذِي سَكَتَ السَّلَفُ عَنْ تَفْسِيرِهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الكَلَامُ، فَإِنَّهُ مِنَ المَعْلُومِ بَيْنَ الخَلْقِ أَنَّهُ لَا تَشَابُهَ فِيهِ، وَقَدْ فَسَّرَهُ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

وَأَيضًا: نَحْنُ فَسَّرْنَاهُ بِحَمْلِهِ عَلَى حَقِيقَتِهِ، تَفْسِيرًا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَهُمْ فَسَّرُوهُ بِمَا لَمْ يَرْوِيْهِ كِتَابٌ، وَلَا سُنَّةٌ، وَلَا يُوَافِقُ الحَقِيقَةَ، وَلَا يَجُوزُ نِسْبَتُهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

❁ **وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «إِنَّ الحُرُوفَ تَحْتَاجُ إِلَى مَخَارِجَ وَأَدَوَاتٍ».**

قُلْنَـا: احْتِيَاجُهَـا إِلَـى ذَلِـكَ فِـي حَقِّنَا لَا يُوجِـبُ ذَلِـكَ فِـي كَلَامِ اللهِ، تَعَالَى اللهُ عَـن ذَلِكَ.

❁ **فَإِن قَالُوا: «بَلْ احْتِيَاجُه لِحَاجَتِنَا قِيَاسًا لَهُ عَلَيْنَا».**

أَخْطَأُوا مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَلْزَمُهُمْ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ، كَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالعِلْمِ وَالحَيَاةِ، لَا يَكُونُ ذلك فِي حَقِّنَا إِلَّا فِي جِسْمٍ، وَلَا يَكُونُ البَصَرُ إِلَّا فِي حَدَقَةٍ، وَالله بِخِلَافِ ذَلِك.

ثَانِيهَا: أَنَّ هَذَا تَشْبِيهٌ للهِ بِنَا، وَقِيَاسٌ لَهُ عَلَيْنَا، وَهَذَا كُفْرٌ.

فإن قلتَ: هم يَفِرُّونَ من التَّشْبِيهِ، قُلْتُ: لَكِنَّ المُوَفَّقَ قاله عَلَى فَرْضِ وَتَقْدِيرِ قَوْلِهِمْ لَهُ.

ثَالِثُهَـا: أَنَّ بَعْـضَ المَخْلُوقَـاتِ لَـمْ تَحْتَجْ إِلَـى مَخَارِجَ فِـي كَلَامِهَـا، كَالأَيْدِي وَالأَرْجُـلِ وَالجُلُـودِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ يَـوْمَ القِيَامَةِ، وَالحَجَرِ الَّذِي سَـلَّمَ عليـه، وَالحَصَى الَّـذِي سَـبَّحَ فِـي كَفِّيـهِ[١]، وَالـذِّرَاعِ الَّـذِي نَطَـقَ لَدَيْـهِ ﷺ[٢]، وَلَا خِلَافَ فِـي أَنَّ اللهَ

....

(١) عن أبي ذر الغفاري قال: «إني لشاهدٌ عند النبي ﷺ في حَلْقَةٍ، وفي يديه حَصَى، فسبَّحن في يده...» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٢٤٤) ٢/ ٥٩ دار الحرمين

(٢) كَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّ يَهُودِيَّةً، مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ سَمَّتْ شَاةً مَصْلِيَّةً ثُمَّ أَهْدَتْهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الذِّرَاعَ، فَأَكَلَ مِنْهَا، وَأَكَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ» وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَدَعَاهَا، فَقَالَ لَهَا «أَسَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ» قَالَتِ الْيَهُودِيَّةُ: مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ «أَخْبَرَتْنِي هَذِهِ فِي يَدِي» لِلذِّرَاعِ، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ «فَمَا أَرَدْتِ إِلَى ذَلِكَ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَنْ يَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا اسْتَرَحْنَا مِنْهُ، فَعَفَا عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُعَاقِبْهَا. أبو داود في سننه (٤٥١٠) ٤/ ١٧٣. المكتبة العصرية.

سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى إِنْطَاقِ الحَجَرِ الأَصَمِّ بِلَا أَدَوَاتٍ.

❁ **ثُمَّ قَالَ: وَقَوْلُهُمْ: «إِنَّ التَّعَاقُبَ يَدْخُلُ فِي الحُرُوفِ».**

قُلْنَا: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي حَقِّ مَنْ يَنْطِقُ بِالمَخَارِجِ وَالأَدَوَاتِ، وَهُوَ لَا يُوصَفُ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ.

وَقَوْلُهُمْ: «إِنَّ القَدِيمَ لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يَتَعَدَّدُ».

غَيْرُ صَحِيحٍ فَإِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ وَكُتُبَهُ قَدِيمَةٌ وَهِيَ مَعْدُودَةٌ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وكلم الله موسى تكليما) وَيُكَلِّمُ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ الكَلَامُ الَّذِي سَمِعَهُ مُوسَى إِلَّا صَوتًا وَحَرْفًا فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مَعْنًى فِي النَّفْسِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ تَكْلِيمًا.

❁ **فَإِن قَالُوا: «نَحْنُ لَا نُسَمِّيهِ صَوْتًا مَعَ كَوْنِهِ مَسْمُوعًا».**

قُلْنَا الجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا مُخَالَفَةٌ فِي اللَّفْظِ مَعَ المُوَافَقَةِ فِي المَعْنَى، فَإِنَّا لَا نَعْنِي بِالصَّوْتِ إِلَّا مَا كَانَ مَسْمُوعًا.

ثَانِيهُمَا: أَنَّ لَفْظَ الصَّوْتِ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الأَخْبَارُ، وَالنِّزَاعُ أَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، أَمْ لَا؟ فَمَذْهَبُنَا اتِّبَاعُ مَا وَرَدَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.[1] انْتَهَى كَلَامُ الشَّيْخِ المُوَفَّقِ.

❁ **قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ البَارِي**: نَفَى الصَّوْتَ قَوْمٌ، وَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُسْمِعْ أَحَدًا مِنَ المَلَائِكَةِ، وَلَا الرُّسُلِ كَلَامَهُ، بَلْ أَلْهَمَهُمْ إِيَّاهُ.

(١) «الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم» لابن قدامة (٤٥). مكتبة الفرقان.

وَحَاصِلُ الِاحْتِجَاجِ لِلنَّفْيِ الرُّجُوعُ فِي القِيَاسِ عَلَى أَصْوَاتِ المَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي عَهِدْنَاهَا، ذَاتَ مَخَارِجَ، وَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ؛ إِذِ الصَّوْتُ قَدْ يَكُونُ مِنْ غَيْرِ مَخَارِجَ، كَمَا أَنَّ الرُّؤْيَةَ قَدْ تَكُونُ مِنْ غَيْرِ اتِّصَالِ أَشِعَّةٍ، سَلَّمْنَا، لَكِنْ يُمْنَعُ القِيَاسُ المَذْكُورُ فَصِفَةُ الخَالِقِ لَا تُقَاسُ عَلَى صِفَةِ المَخْلُوقِ، فَإِذَا ثَبَتَ ذِكْرُ الصَّوْتِ بِهَذِهِ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وَجَبَ الإِيمَانُ بِهِ[١].

۞ وحديث[٢]: (ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ)، حَمَلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى مَجَازِ الحَذْفِ، أَيْ يَأْمُرُ مَنْ يُنَادِي، وَاسْتَبْعَدَهُ مَنْ أَثْبَتَ الصَّوْتَ، بِأَنَّ فِي قَوْلِهِ: (يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ) إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ المَخْلُوقَاتِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُ هَذَا فِيهِمْ، وَبِأَنَّ المَلَائِكَةَ إِذَا سَمِعُوهُ صَعِقُوا، وَإِذَا سَمِعُوا مِنْ بَعْضِهِمْ لَمْ يَصْعَقُوا.

فَعَلَى هَذَا صَوْتُهُ سُبْحَانَهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، لَا يُشْبِهُ صَوْتَ غَيْرِهِ، إِذْ لَيْسَ يُوجَدُ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِهِ فِي صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ.[٣] انْتَهى

۞ وَحَدُّ الصَّوْتِ: مَا يَتَحَقَّقُ سَمَاعُهُ، وَمَا لَا فَلَا.

۞ وَصِحَّةُ الحَدِّ كَوْنُهُ مُطَّرِدًا مُنْعَكِسًا.

۞ وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: «هُوَ هَوَاءٌ خَارِجٌ مِنْ بَيْنَ جِرْمَيْنِ»؛ فَمُرَادُهُ صَوْتُ الآدَمِيِّينَ؛ إِذْ تَسْبِيحُ الحَصَى وَالجِبَالِ وَالأَحْجَارِ لَيْسَ مِنْ مُنْخَرِقٍ بَيْنَ جِرْمَيْنِ، وَمِنْ شِدَّةِ اللَّبْسِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ كَثُرَ نَهْيُ السَّلَفِ عَنِ الخَوْضِ فِيهَا، وَاكْتَفَوْا

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر ١٣/ ٤٥٨. دار المعرفة.

(٢) مازال الكلام متصلاً للحافظ ابن حجر.

(٣) «فتح الباري» لابن حجر ١٣/ ٤٥٧. دار المعرفة.

بِاعْتِقَادِ: «أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ»، وَلَمْ يَزِيدُوا عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا وَهُوَ أَسْلَمُ الأَقْوَالِ وَأَبْعَدُ عَنِ الانْتِحَالِ.

❁ وَأَمَّا مَا نَقَلَهُ **السَّعْدُ** فِي كَلَامِهِ عَلَى «**عَقَائِدِ النَّسَفِيِّ**»، مِنْ نِسْبَتِهِ إِلَى الحَنَابِلَةِ أَنَّهُمْ قَالُوا: «إِنَّ كَلَامَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَرَضٌ مِنْ جِنْسِ الأَصْوَاتِ وَالحُرُوفِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَدِيمٌ»(١).

❁ **وَفِي مَحَلٍّ آخَرَ**: أَنَّ المُؤَلَّفَ مِنَ الأَصْوَاتِ وَالحُرُوفِ قَدِيمٌ، وَنَسَبَهُمْ إِلَى الجَهْلِ وَالعِنَادِ(٢).

❁ **وَأَيْضًا**: مَا يَنْسِبُهُ بَعْضُ النَّاسِ لِلْحَنَابِلَةِ مِنْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِقِدَمِ الوَرَقِ وَالجِلْدِ وَالمِدَادِ(٣).

❁ **فَالجَوَابُ**: إِنَّ مَا نُسِبَ إِلَيْهِمْ مِن هَذِهِ المَقَالَاتِ لَا أَصْلَ لَهُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَوْ كَانَ لَهُ أَصْلٌ لَعُثِرَ عَلَيْهِ، وَكَيْفَ يَتَأَتَّى مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ القَوْلُ بِهِ، مَعَ أَنَّهُم فِي أَعْلَى طَبَقَاتِ الوَرَعِ فِي تَتَبُّعِ مَذْهَبِ إِمَامِهِمْ، وَاعْتِقَادِهِمْ مَذْهَبَ السَّلَفِ، وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَكَيْفَ يَظُنُّ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ حَرَّفَ شَيْئًا وَنَسَبَهُ إِلَى إِمَامِهِ، مَعَ أَنَّ هَذَا الظَّنَّ لَا يَجُوزُ بِأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَضْلًا عَنْ هَؤُلَاءِ السَّادَةِ.

---

(١) «شرح العقائد النسفية» للسعد التفتازاني (٤٩). دار الهدى الجزائر.

(٢) «شرح العقائد النسفية» للسعد التفتازاني (٥١). دار الهدى الجزائر.

(٣) قال الشيخ عبد الغني اللَّبدي ١٣١٧هـ ـ شيخ رواق الحنابلة في الأزهر الشريف ـ في تعليقاته على «المنهج الأحمد»: «ما يُنقلُ عن من لا معرفة له بالعلم، ولاحظَّ له في الفقه والفهم، من نسبتهم الحنابلة إلى: (التجسيم)، وقولهم: (بقدم ورق المصحف ومداده وجلده) ونحو ذلك؛ مما تقشعر منه الجلودُ، ولا يفتريه إلا ماكرٌ خبيثٌ حسود». (٣٣). دار الرياحين.

❁ **فَإِنْ قِيلَ**: «لَعَلَّ مَا نُقِلَ مِنْ كُتُبِهِمْ مَدْسُوسٌ عَلَيْهِمْ».

فَالجَوَابُ: أَنَّ فَتْحَ هَذَا البَابِ بِدْعَةٌ شَنِيعَةٌ؛ لِأَنَّ المَطْلُوبَ مِنَ النَّاقِلِ تَصْحِيحُ النَّقْلِ، بِكَوْنِ كِتَابِهِ مُقَابَلًا عَلَى أَصْلٍ صَحِيحٍ.

❁ وَأَيْضًا، يَتَطَرَّقُ هَذَا الظَّنُّ إِلَى بَقِيَّةِ كُتُبِ المُسْلِمِينَ، فَلَا يُعْتَمَدُ عَلَى مَا نُقِلَ مِنْهَا وَلَا يُوثَقُ بِعِبَارَةٍ فِيهَا عَلَى أَنَّ مُعْظَمَ اعْتِمَادِنَا فِيمَا نَقَلْنَاهُ مِنْ أُصُولِنَا وَفُرُوعِنَا، مُتَّصِلٌ فِي جَمِيعِ الأَعْصَارِ، مُنْذُ الإِمَامِ أَحْمَدَ إِلَى زَمَنِنَا هَذَا، مُتَوَاتِرٌ نَقَلَهُ جَمْعٌ عَنْ جَمْعٍ فَمَا عَدَاهُ كَذِبٌ مُطَّرَحٌ وَبَاطِلٌ مُجْتَنَبٌ لَا يُؤْبَهُ بِهِ.

❁ ❁ ❁

فَائِدَةٌ

❁ اعْلَمْ أَنَّ الأَشْعَرِيَّ مُتَّبِعٌ لِأَحْمَدَ بِن حَنْبَلٍ قَالَ فِي الفَتْحِ[1]: وَالَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ قَوْلُ الأَشْعَرِيَّةِ، أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مَكْتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَقْرُوءٌ بِالأَلْسِنَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، وَفِي الصَّحِيحِ: (لَا تُسَافِرُوا بِالقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ العَدُوِّ)[2].

وَلَعَمْرِي لَقَدْ تَنَزَّهَ السَّلَفُ عَنِ الخَوْضِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، وَاقْتَحَمَ قَوْمٌ الغَمَرَاتِ، فَلَمْ يَسْلَمْ إِلَّا مَنْ تَكَلَّمَ فِيهَا بِمَا نَطَقَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

❁ قَالَ أَبُو يُوسُفَ[3]: «مَنْ طَلَبَ العِلْمَ بِالكَلَامِ تَزَنْدَقَ»[4].

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر ١٣/ ٤٩٣. دار المعرفة.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٨/ ٩٩. مؤسسة الرسالة، ومسلم ٦/ ١٤٩١. دار إحياء التراث العربي، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) هو: محمد بن الحسن الشيباني، صاحب أبي حنيفة، توفي ١٨٦هـ. «سير أعلام النبلاء» ٩/ ١٣٤. مؤسسة الرسالة.

(٤) وقد بيَّنَ المؤلف في الأصل الجمع بين ما نقلَهُ من ذم السلف لعلم الكلام وتأليفه فيه ـ وبه يظهر =

❁ وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «مَا ارْتَدَى بِالكَلَامِ أَحَدٌ فَأَفْلَحَ».

❁ وَقَالَ أَحْمَدُ: «مَا أَحَبَّ الكَلَامَ أَحَدٌ وَكَانَ عَاقِبَتُهُ إِلَى خَيْرٍ».

❁ وَقَالَ ابْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادَ[١]: كُتُبُ[٢] البِدَعِ عِنْدَ مَالِكٍ وَسَائِرِ أَصْحَابِهِ، هِيَ كُتُبُ الكَلَامِ وَالتَّنْجِيمِ، وَشِبْهِ ذَلِكَ، لَا تَصِحُّ إِجَارَتُهَا، وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَةُ أَهْلِهِ[٣].

❁ فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالآثَارِ، دُونَ الافْتِكَارِ وَالابْتِكَارِ.

❁ فَإِنَّ قَلِيلَ ذَلِكَ مَعَ الفِطْنَةِ كَثِيرٌ، وَالمُمْعِنُ فِي التَّعَمُّقِ مَذْمُومٌ، وَالحَرِيصُ عَلَى التَّوَغُّلِ فِي اللَّهْوِ مَحْرُومٌ، وَالإِسْرَافُ فِي الجِدَالِ يُوجِبُ عَدَاوَةَ الرِّجَالِ، وَيَنْشُرُ الفِتَنَ، وَيُوَلِّدُ الإِحَنَ[٤]، وَيُقَلِّلُ الهَيْبَةَ، وَيُكْثِرُ الخَيْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَا تَفْهَمُهُ الأَفْهَامُ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الأَوْهَامُ.

❁ فَعَلَيْكَ بِطَلَبِ الحَقِّ وَالصِّدْقِ، وَالتَّوَقُّفِ مَعَهُمَا، وَتَرْكِ التَّقصيرِ عَنْهُمَا، وَاجْتَهِدْ فِي عَدَمِ الدُّخُولِ فِيمَا لَا يَلْزَمُكَ، فَإِنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ هَمُّكَ وَنَدَمُكَ[٥].

....

= الفرقُ بين علم الكلام الممدوح والمذموم ـ فقال: فإن قلتَ: قد قدمتَ فيما نقلتَهُ عنِ الشَّيخِ المُوَفَّقِ مِن كَلَامِ السَّلَفِ مِن ذَمِّ الاشتِغَالِ بِعِلمِ الكلامِ، وَنَرَاكَ قَد أَلَّفْتَ فيه. قلتُ الجوابُ: أَنَّ المذمومَ منهُ مَا كان غيرَ مَأخوذ مِن كِتابٍ ولا سُنَّةٍ، بل كان بِمحضِ الأقيِسَةِ.

(١) هو: محمد بن أحمد بن عبد الله بن خويزمنداد من كبار المالكية العراقيين، كان يُجانبُ الكلام جُملةً، وينافر أهله، توفي بعد ٣٩٠هـ. «تاريخ الإسلام» للذهبي ٨/ ٦٨٠. دار الغرب الإسلامي.

(٢) كُتب: غير مثبتة في المخطوط، وهي مثبتة في المصدر، وإثباتها أولى ليستقيم بها الكلام.

(٣) «الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم» لابن قدامة (٤٦). مكتبة الفرقان.

(٤) الإِحَن جمع إحنة وهي الحقد الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» الجوهري، ٥/ ٢٠٦٨. دار العلم للملايين.

(٥) في المخطوط: وقدمك.

۞ فَاسْتَنْصِحْ فِيمَا قَرَّبْتُ إِلَيْكَ، وَبَذَلْتُ جَهْدِي فِي نُصْحِي شَفَقَةً عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ أَصْوَبُ وَأَثْوَبُ، وَأَسْلَمُ وَأَقْوَمُ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

أنهيتُ كتابتها وتصحيحها مقابلة على نسخة مكتوبة على نسخة بخط المصنف على يد الفقير لرحمة ربه العلي عبد السلام الشطي الحنبلي عفا الله عنه وعن والديه، وأحسن إليهما وإليه وللمسلمين. حرر في سنة ١٢٧٣هـ.





فهارس العين والأثر

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





فهارس إنسان العين وجلاء الغين

الموضوع	الصفحة

